أبو الهول الحي

تأليف : رجب تشوسيا

ترجمة وتقديم : د. محمد موفاكو

العنوان الاصلى للمسرحية :

REXHEP QOSJA

SFINGA E GJALLË

RILINDJA
Redaksia e botimeve
Prishtinë
1978

شخصيات المسرحية باللغة العربية

قابيل

هابيل

لامى ، الاصغر سنا

دينى ، الاكبر سنا

ميكائيل

اونديتا

هيندا

وكيل

الجار الاول

الجار الثانى

الجار الثالث

الجار الرابع

المحقق

الشرطى الاول

الشرطى الثانى

قارعو الطبول

أبو الهول الحى

زمن الواقعة

سنة ١٩٦٧ ، حين حدثت عدة حوادث قتل واعتبرت ببساطة قضايا ثار ، وذلك بسبب العجز عن تفسيرها بشكل صحيح ·

مكان الواقعة

مدينة يسكنها عدة آلاف ، وتتمتع بقاعدة اقتصادية لا بأس بها ، وبثقافة تعتبر متطورة نسبيا لذلك الوقت ·

مصادر المؤلف

محاضر المحكمة ، التى حاكمت ميكاجيل ، أحد الأبطال الرئيسيين لهذه المسرحية ·

تصريح أحد الشهود ، الذى أكدته محاضر المحكمة · الحكايات التى تروى جيلا بعد جيل عن القتل والتى فى هذه المناسبة ، يمكن أن تدعى أساطير ·

البرولوج

الليل يخيم . تُسمع من بعيد دقات طبول ، تُذكّر بطقس تراجيدى . في نفس الوقت يقطع رصاص البنادق دقات الطبول . الطقس التراجيدى للطبول يزداد اقترابا ويتسارع أكثر . يعقب هذا ثانية صوت رصاص البنادق . تعاقب دقات الطبول ورصاص البنادق يتسارع أكثر . هدوء . يسمع الآن صوت امرأة تحـــاور صوت رجل . يمثل صوت ذاكرتها .

« يغامرني خوف ، يغامرني خوف هذه الليلة .

لقد فقدت هـــدوئي . »

« هدوء الشخص يرتبط بالآخرين » .

« هل أنت سعيد ؟ »

« كيف يمكن ان اكون سعيدا هنا ، حيث سعادة الانسان تُخلق من تعاسة الآخرين » .

« انك تتميز عن الآخرين » .

هذا ليس امتيازا :

اذا تميزت تسقط عليك العيون وتراك بشكل سيء » .

« مع هذا ستعيش بالرغم من هذه العيون السيئة » .

« من الأفضل ان تتلاشى نهائيا » .

« انني اتنفس بحرية حين اكون فقط بجانبك » .

« ولكنهم لا يدعوننى أبقى قربك » .

« احلم بك كل ليلة حين لا يمكننى ان اراك .

لن أنساك » .

« عرفتك شابة

وستبقين شابة إلى الابد » .
« يغامرني خوف ، يغامرني خوف هذه الليلة .
انى وحيدة في هذا الظلام » .
« اصبرى قليلا ، فهذا الليل ايضا لن يدوم » .
« دائما تقول لى اصبرى :
ولكن لم يعد ني وسعى الصبر » .

* * *

الفصل الأول

غرفة كبيرة ، يبدو بوضوح ان طولها اوسع من عرضها ؛ على الحائط الأيسر علقت بندقية قديمة ، وعلى الحائط الأيمن علقت بندقية جديدة . قابيل يغطي بقماش اسود نصبا في نهاية الغرفة . حين يغطي النصب تدخل هيندا في حالة خوف . يلتفت قابيل ويتطلع اليها بغضب.

المشهد الأول

هيندا : يا للمصيبة !
ماذا سيحل بي !
لقد اصبح ولدى شقيا !
لا يستطيع البقاء ليلا في البيت !
لا أشاهده حين يدخل ولا حين يخرج !
لا أعرف اين ذهب هذه الليلة !
يا للمصيبة !

قابيل : اذا لا تعرفين اين ذهب فهو يعرف حتما .

هيندا : هو يعرف وأنت تعرف ،
ولكن أريد ان اعرف انا ايضا
طالما انني في هذا البيت ؛

قابيل : أوقدي شعلة كبيرة
واخرجي إلى الشوارع والساحات
وابحثي عنه في الزوايا والبيوت

فلا بد ان يكون في مكان ما !
لقد برزت فيه ملامح الرجولة
وسترين أى رجل سيكون !

هيندا : يا لكماتك الثقيلة
التى تسقط علىّ اثقل من صخور الجبال !

قابيل : منذ ان جئت إلى هذا البيت
وأنا لا أسمع الا ويلاتك !
متى ستهدئين ليوم واحد فقط !

هيندا : (باكية (لن أعرف الراحة ابدا !

قابيل : (بصوت عال (اسكتى ! اسكتى !

هيندا : لا تصرخ هكــذا .
وقد يشكون في عقلك !

قابيل : هل ينبغى علىّ ألا أتكلم كما أريد
بسبب الجيران !
ألا تسمعهم حين يصرخون هم أيضا ؟ !

هيندا : أصواتهم لا تصل إلى هنا أبدا .

قابيل : يبدو انك وضعت قطنا في أذنيك
ولذا لا تسمعين شيئا
ولا ترين شيئا
ولن تعرفي شيئا .
انك تتمتعين فقط بالطعام واللباس !

هيندا : فيما لو لدى أهل السوء شيء
فليقولوه .

يكفيني بيتي و ولدي !

قابيـــل : نعم ، لك ولد ، وأيّ ولد !
تريدين أن تربطيه بالباب
وكأنه أبله هذا البيت !

هينـــدا : قابيـــل !
لا تجرحني هكـــذا ،
ولا تفتق جروحي القديمة .
لا تفسد أيامي الأخيرة ،
اذ يكفيك ما فعلت بأيامي السابقة .
أعرف انني لست أمه ،
لم أحمله في بطني تسعة شهور
ولم أرضعه كالأمهـــات ،
بل قد تبنيّته ورعيته .
هززت له السرير .
وغنيت له الأغاني
ورويت له الحكايات .
علّمته ان يقول لي أمي ،
وتعودت ان أدعوه ابني ،
كما لو كان فلذة من كبدي ،
ولذا فهو لا يستطيع بدوني
وأنا لا استطيع بدونه .

قابيـــل : انك تخلطين الحسنة بالاساءة !
لقد رعيتـــه فعلا ،
ولكن يجب ان يصبح رجلا

ان كلماتك لن تجعل منه رجلا
بل سيصبح رجلا بنفسه :
حين يخرج وحين يتأخر عن البيت
لا تبكى !
سيعود عما قريب .

هينـــدا : لا تسخر مـــنى !
لقد شاهدت حلما سيئا :
كان المطر يسقط أحمـــر ،
وسقف البيت يهتز ،
اهتزت أغطية النوافذ
ودخلت عبرها عصافير حمـــراء ،
باب البيت كان غير موجود ،
وكان الناس يدخلون ويخـــرجون ،
وهم يحنـــون رؤوسهم ،
كانوا يتمتمون بكلمة واحدة فقط
ولم أكن أدرى مغزى تلك الكلمة .
حين استيقظت كنت غارقة في العـــرق
ولم أستطع تفسير شيء .

قابيـــل : لماذا تضطربين !
هذا أجمـــل حلم شاهدته
وليحدث كما قد حلمت :
ليأت الينا أكبر عدد من الناس
لأنهم سيأتون إلى فرحنـــا .

هينـــدا : (مضطربة) أى فرح يا قابيـــل ؟

قابيـل : سنعدّ عرسا ،
عرسا كبيرا ، عرسا أحمـر .

هيندا : لا أعرف كيف أفهم كلماتك هذه !
(يدخل فجأة ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
الفأر والضّب ينصتان
والمآذن وأبراج الكنائس تصغى
هناك من سيقضى على السمعة
ومن سيقطع الطريق على لامى .
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

هيندا : يا للمصيبة !
ماذا يقـول ؟

قابيـل : اذهب ، ايها الابله !
لا تزعج المرأة ، فقد شاهدت حلما !
(يلتفت إلى هيندا قائلا)
الآن سيأتي بنـك ،
ستـرينه وستفرحين به .
ولكن لا أريد ان اراك هنا حين أعـود ،
لأن فرحـك سيىّء كغضـبك !

(يخرج قابيـل لاحقا ميكائيل . هيندا تراقب الغرفة باهتمام . تلاحظ القماش الاسـود في نهـاية الغرفة وتقترب منه . تدخل اوندينا)

المشهد الثـــاني

اونديـــنـــا : ماذا تفعلين في هذا الوقت المتأخر ؟
أين قابيــــل ؟

هيـنــــدا : خرج منذ لحظـــة .

اونديـــنـــا : و ديـــنى ؟

هيـنــــدا : لم أشاهده .
لقد خرج قبله .

اونديـــنـــا : ولامى أين لامـــى ؟

هيـنــــدا : استيقظت بسببه ،
ولم أجـــده .

اونديـــنـــا : أين يذهبون في هذا الوقت ؟

هيـنــــدا : سنعـــدّ عرسا :
عرسا كبيرا ، عرسا أحمـــر .

اونديـــنـــا : ولكن ما حاجتهم للخروج في هذا الوقت ؟

هيـنــــدا : (مضطربة) دعيني أسألك أنا أيضاً ، لماذا ؟
هل سمعت شيئا ؟

اونديـــنـــا : يبدو ان هاجسا قد انتاب هذا البيت !

هيـنــــدا : أىّ هـــاجس ؟

اونديـــنـــا : قابيل ودينى لا يعرفان الاستقرار
في أىّ مـــكان .

هيـنــــدا : يبدو انك سمعت هذا من الجيران !
انهم يثرثرون بكل شيء ،

ينتقدون العـــروس ،
ويشككون في العـــريس ،
ليفسدوا الأمر فقط .
(اوندينا تقترب من هيندا ، التى تغطى النصب بظهرها ، تزيل القماش وتكشف النصب)

اوندينـــا : ما هذا ؟

هينـــدا : لا أعرف ، لم يكن هنا في السابق .

اوندينـــا : لم غطوه بالقماش الأسود ؟

هينـــدا : يا للمصيبة !

اوندينـــا : من جلب هذا إلى هنا ؟

هينـــدا : لا أعرف ! لا أعرف ؟!

اوندينـــا : لا تعرفين أين زوجك ؟
لا تعرفين أين سلفك ؟
لا تعرفين أين ابنك ؟
لا تعرفين من أين جاءك هذا ؟
يجب أن تعرفي شيئا ،
طالما انك تقضين هنا الليل والنهار !

هينـــدا : وهل يوجد هنا من يهتم بي ؟
أنا هنا وكأنني لست هنا :
لا يسألني أحد
ولا يذكرون شيئا لى ،
لا يقولون لى
متى يذهبون ومتى يعودون

يأكلون من يدى
ولا يريدون ان يروا يدى .
يا للمصيبة !

اوندينـــا : لا تتكلمى هـــكذا !
لا تبكى ، كل شىء سيكون على خير .
(يدخل ميكائيل)

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتو !
الحزن قـــادم ،
والصبر أشرف على النفـــاد !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

هينــــدا : إذا وجدنا قابيل معا ،
فسيغضب منك أكثر مما سيغضب منى
ان غضب هذا الرجل يتجاوز الحـــدود .
(يخرجان في الاتجاه ، الذى جاء منه ميكائيل .
ميكائيل يقترب من النصب ويتطلع إليه بدهشة :
يدخل هابيـــل)

المشهد الثالث

هابيـــل : إذا تصرفت جيدا هذه الليلة
وتحدثت معى بشكل جدّى
سأعمل لك نصبا كهـــذا .

ميكائيـــل : أنا اتحدث دائماً بشكل جدى ،
لكن الناس يسيئون فهم ما أقوله .

هابيـــل : تكلم ببطء ، واختر كلماتك جيدا

لانى لا أفهمك تماما :
لقد انقضى زمن الشعر منذ وقت طويل .

ميكائيل : في كلماتي لا يوجد دبابيس :
سيعود للشعر زمنه
حين ينتهى زمن القبضايات .
الشعر لا يعود شعرا
حين يكون مجرد ديموغوجيا .

هابيل : لا تمزح !
من أين لك ان تعرف ماذا تعنى الديموغوجيا !!

ميكائيل : أعرف ما الشعر
وما الديموغوجيا .
الديموغوجيا هى عروس
تبدو من الخارج كالشعر
ولكنها في الداخل مجرد معزة !

هابيل : أية عروس ؟

ميكائيل : عن العروس ، التى ستأتي
إلى بيتنا كما يقولون .

هابيل : وماذا يريد هذا الرأس هناك ؟
لمن هذا ؟
(يتطلع باهتمام إلى النصب ، بينما يقترب ميكائيل
من النافذة ويتطلع للخارج . يلتفت فجأة)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
سيخبرك قابيل ،
سيخبرك القاتل ،

انه يأتي ، سيؤذيني
والى الجحيم سيرسلني !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يخرج راكضاً . يدخل قابيل ودينى ويشاهدان بدخولهما ميكائيل وهو يخرج راكضاً)

المشهد الرابع

قابيل : هل تفهم شيئاً مما يقوله هذا الابله ؟

هابيل : البلهاء فقط يتكلمون الحقيقة ،
ولكن لا أعرف عن أية حقيقة يتكلم .
ربما هو أيضا لا يعرف الحقيقة هذه الليلة ،
ولذا أسألكما :
أين لامي ؟

دينى : أنت تكثر دائما من الأسئلة
وحين تُسؤل تتردد في الجواب .

قابيل : نحن أيضا ننتظره .

هابيل : لم لا تقول ؟
خرجتم لتنتظروه !

دينى : (في اضطراب) هل تحمل خبرا ما ؟
انك دائما معه
وتعرف دروبه أكثر منا ،
مع انك لا تتمتع بحق هذا .

هابيل : لو عرفت ما سألتكما ،
مع انى يمكن ان اخمن أين هو !

قابيـــل : أين يمكن أن يكـــون ؟

هابيـــل : يبدو لى :
أنه سيعود أو لن يعود ،
وهذا يرتبط بالمكان الذى ذهب إليه .

قابيـــل : من يملك عقل شاعر مثلك
يمكن ان يبنى قصوراً فارغة
حتى على رؤوس الإبـــر .

ديـنى : أو أنه يفتح القبور ليرى
فيما لو دفن أحدهم بطريق الخطأ .

هابيـــل : لا يمكن أن تصدقوا
ان بعض الشعراء من ذوى العيون المغلقة :
يرون عبر الضباب
يرون عبر الظـلام
يرون ما وراء المرتفعـات
يرون ما في نهاية السهول البعيدة
ويعرفون ما يستجد من الأمور .
هل تعرفون أغنية ما ،
قولوا لى واحدة فقط ،
لأصدّق حينئذ
ان حصونكم تقوم على أسس متينة .

قابيـــل : لا أعرف شيئاً .
لقد تركت هذا للشعراء .
أنا لا أحب هؤلاء !

هابيـــل : من امثالى مثلا ؟

قابيـــل : نعـم .

ديــنى : أو كمثله .

هابيــل : كمثل من ؟

قابيــل : مثل ذلك الابله ،
الذى تعلـّم منك
ما يقال وما لا يقــال .

هابيــل : لم لا تخبراني عما وراء هذا القلق
الذى يبدو عليكما ؟
أين أرسلتم لامــى ؟

قابيــل : اصبر قليلا وستعرف هذا
حين يعــود .
(يقترب من نصب الإنسان المجهول ويغطيه)

هابيــل : لم وضعتم رأس هذا الإنسان هنا ؟
لم تغطوه بالقمــاش الأسود !

قابيــل : هذا يخصّ لامــى .
لا تكشفه !

هابيــل : هناك شىء لا أفهمــه :
لم وضع هذا النصب هنا ؟
ولم خرج لامى في هذا الوقت ؟

قابيــل : انك ذكىّ حقــا !
يجب ان تعرف لماذا خـــرج ؟
انك شجــاع حقا !
يجب ان تعرف أين يمكن ان يذهب .

هابيـــل : لقد ذهب إلى مكان ما ،
حيث ما كان ينبغى ان يذهب ،
لقد ذهب إلى مكان ما ،
حيث تقاعس على الذهاب اليه :
لقد ذهب إلى مكان ما ،
حيث لن يعرف أحد كيف يمكن ان يعود منه .

قابيـــل : (بغضب) ليس كل الناس مثلك !
كيف لى أن أعرف كيف سيعود !

هابيـــل : أنا أعرف .
لقـــد ذهب بقـــدمين ،
ويمكن أن يعـــود على قـــدم واحدة ،
لقـــد ذهب بيـــدين ،
ويمكن أن يعـــود بيـــد واحدة ،
لقـــد ذهب بعينـــين ،
ويمكن أن يعود أعور ،
لقد ذهب بأذنتين ،
ويمكن أن يعود أطرش .
لقد ذهب بعقل واحـــــد ،
ويمكن أن يعـــود بدونه .

ديـــنى : ليعد هذه المرة على الأقـــل .
(يسمع صوت رصاص في الخارج . يبدو على
دينى الفـــرح)
ها قد عـــاد !
(يدخل ميكائيل ،

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
لقد قضى وطـره
وروض أشواك القنفــذ .
لقد تحوّل فجـره إلى غروب
وغرق في الصحــن !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

هابيـــل : متى ؟

ميكائيـــل : في منتصف الليـــل ،
حين أحرقت النساء .

هابيـــل : مـــن ؟

ميكائيـــل : من يقول « دى »(×)
ولا يعرف كيف يُثْلِجُ النساء بالجمــر .

ديـنى : مـــن ؟

ميكائيـــل : ستعرفون من هو ؟
حين يبقى الشيطان على باب الدار .

هابيـــل : ها هو من يخبر عن الأمــور
التى لا تريدون الافصاح عنهــا ؟

قابيـــل : حين لا يكون هناك معنى للكلمات ،
يمكن أن تجمعها بأىّ شكل تريد :
جمر ونساء ، ليل ونساء الخ .

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
هناك ما يجمع
بين الرغبــة والعصـا ،
بين الصحن واللحـاف ،

★ صوت يقال للحمار لدفعه الى الامام

بين الرمـــح والسرّة ،
بين الكبش والغنم ،
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

قابيـــل : اخـــرج !
يكفيك ماهذرت بـــه !

هابيـــل : لا تطرده ، فقد يفيدك .
انه يخبرك على الاقل كم الساعة ؟

ديـــنى : نحن نتكلم هنا ونمـــزح ،
ومن يدرى ماذا حلّ بلامى !

هابيـــل : اذا لن تخبروني
فسأذهب للبحث عنه بنفسى !
ربما أرسلتموه عند امرأة مـــا !

قابيـــل : ألا تدرك ذلك الذى تُسمّيه قلقنـــا ؟
لم لا تتفهم كلمات ذلك الأبلـــه ؟
لكى تبدو لك كلمات رجل ذكى ؟
نحن لم نرسلـــه ،
بل ذهب وحـــده .
سيصبح رجلا في يوم مـــا ،
ولن يبقى هائمـــا مثلك .

هابيـــل : يبدو ، مع هذا ، ان قلقكـــم
لا ينبع من الفرح الذى تُعدّون العدة لـــه .

قابيـــل : سنعدّ عرســـا كبيراً ،
سنعدّ عرســـا أحمر !

هابيـــل : أى عرس سيكون هذا
طالما أنه يبدأ على هذا النحـــو ؟

دينـي : سيأخذ العروس بنفسـه ،
مع أنهم لا يريدون ان يعطوه اياهـا .
هابيـل : ألم تجدوا وسـيلة أفضل
لاظهار رجولتكـم ؟
قابيـل : انه رجل ، لا ينقصه شيء .
هابيـل : هنا يمكن أن تسقط الرؤوس
في سبيل تلك الفتحة المغطاة بالشعر !
(يهم بالخروج ، يتوقف ويتطلع ثانية الى النصب)

المشهد الخامس

دينـي : من يـدري ،
هل يعرف شيئا أو يتظاهر بهذا ؟
قابيـل : سواء اذا عرف أو لم يعرف ،
فهذا لا يضرنا بشيء ،
لأننا غير مرتبطين بـه .
دينـي : ان شكه يزيد في مخـاوفي .
يراودني احساس مسبق بسوء مـا .
ألا ترى كم تأخر لامى ؟
قابيـل : انـه شـاب ،
ولن يفكر في مخاوفك .
دينـي : ان عدم قدومه يدعو للاستغراب !
الوقت أصبح متأخرا
وهذا التأخر يعني
ان الامور لن تنتهي على خير .
قابيـل : صحيح انه لم يأت بعـد ،

ولكن الوقت ليس متأخراً جـــداً .
ما يزال لدينا وقت للانتظار .

ديــنى : لا يعرف لــه نهــار ،
ولا ليــل ،
وفي الليل تكثر عيون الســوء .

قابيــل : الليل ايس لــه عيون .
انه لم يذهب الى الحــرب .

ديــنى : يبدو لك الامر بسـيطا !
ما رأيك : لمـاذا لم يعد ؟

قابيــل : ربمـا لم يجده
حيث بحث عنــه ،
ربمـا وجـده
ولكن لم يتعرف عليه في الظلام .
كل القطط تبدو سوداوات في الليل .

ديــنى : ربما يكون وكيل قد خدعنا :
قال انــه هناك
وربما كان في مكان آخــر .
يبدو انه أراد ان يبتزّنا اكثر :
لان بطنه في حالة جوع دائمـة .

قابيــل : لا أظــنّ هذا أبــدا ،
قد يكذب على الجميع ولكن عليّ لا يكذب .
يعرفنى وأعرفــه
ويعرف انه سيخسر أكثر مما سيربح
اذا قام بخـداعى .

ديــنى : هل تعتقد بهذا حقــا ؟

قابيـــل : على كل حال ، ان كلامه لا يعني كل شيء ، فقد احتطنا واتخذنا اجراءات أخرى .

ديـــني : (وهو يتطلع للخارج) لايبدو ظل أيّ انسان ، ولا يُسمع أيّ صوت .

قابيـــل : الهـــدوء أفضل ،
فقي هذا الســكون
سينتهي من عمله بشكل أســهل .

ديـــني : لا أستطيع الاستقرار في أيّ مكان
قبل أن أراه هنا .
ربّما قد حدث له شيء ،
فالدروب ليست كلّها مستقيمة .

قابيـــل : ماذا يمكن أن يحدث له ! لا شيء !
ان الشخص الآخر لا يتمتع بجــرأة
تمكّنه من دوس ذبابة ،
ولذا يمكن لأيّ شخص ان ينال منه .
اصبر قليلا ، فقد حان وقت قدومه .

ديـــني : أحيانا تأتيك المفاجأة من حيث لا تدري !
ان ذلك الشخص يخشى منــه ،
ثم اننا لم نرسل لأمي الى عرس !

قابيـــل : سنعدُ العرس حين يعود .
سنعدُ عرسا كبيرا ، عرسا أحمر !

ديـــني : كم الساعة الآن ؟

قابيـــل : لا تخـــف !

قابيــل : على كل حال ، ان كلامه لا يعنى كل شيء ، فقد احتطنا واتخذنا اجراءات أخرى .

ديـنى : (وهو يتطلع للخارج) لايبدو ظل أيّ انسان ، ولا يُسمع أيّ صوت .

قابيــل : الهــدوء أفضل ،
فقى هذا الســكون
سينتهى من عمله بشكل أســهل .

ديـنى : لا أستطيع الاستقرار في أيّ مكان
قبل أن أراه هنا .
ربّما قد حدث له شيء ،
فالدروب ليست كلّها مستقيمة .

قابيــل : ماذا يمكن أن يحدث له ! لا شيء !
ان الشخص الآخر لا يتمتع بجـرأة
تمكّنه من دوس ذبابة ،
ولذا يمكن لأي شخص ان ينال منه .
اصبر قليلا ، فقد حان وقت قدومه .

ديـنى : أحيانا تأتيك المفاجأة من حيث لا تدرى !
ان ذلك الشخص يخشى منــه ،
ثم اننا لم نرسل لامى الى عرس !

قابيــل : سنعدُّ العرس حين يعود .
سنعدُّ عرسا كبيرا ، عرسا أحمر !

ديـنى : كم الساعة الآن ؟

قابيــل : لا تخـف !

هل تخاف أكثر منـــه ؟

ديـــنى : كم الساعة يا قابيل ؟
ليس لدينا وقت للمزاح !

قابيـــل : أنا وأنت ســـواء ،
وأنا لا أمزح مع نفسى .
الساعة تجاوزت الآن منتصف الليل .

ديـــنى : لقد تأخر ، كما لو ذهب ليفتح قبره ،
ولهذا يحتاج الى الليل كلّه .

قابيـــل : سيأتي أخيرا ،
سيأتي مسرعا ، فرحا وفخورا .

ديـــنى : اســــمع !
يبدو ان شخصا ما يأتي .

قابيـــل : ألم أقل اصبر قليلا لترى ؟

ميكائيل : (داخلا) انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

قابيـــل : (مقاطعاً اياه) اخرى ! اخرج !
(يفرّ ميكائيل)

ديـــنى : لقد خرج بشرفـــه ،
وبقى هناك بجســـده .

قابيـــل : (بغضب) انك ترتجف كالمرأة الخاطئة .
انه لم يذهب الى الحرب ، ألا تفهم ؟

ديـــنى : يا قابيـــل !
الانسان قد يذهب إلى الحرب ويعـــود

أو قد يذهب ولا يعود
إلا أنه لا يفقـــد
ما هو أثمن من رأسه .

قابيـــل : وهل هناك ما هو أثمن من الرأس ،
الآن أسمع منك ما لم أسمعه قط !

ديـــنى : إذا فقد رأسه هذه المـــرة
فهذا يعنى انه سيفقد شرفـــه ،
لنذهب ونراه ثانيـــة !

قابيـــل : لا داعـــى للذهاب !
إذا لم يفتح الآن الباب
فهذا يعنى انه في الطريق الينا .
أما الشرف فلا تذكره لى
لانى لست وضيعا
لأختلف معك حـــوله .

ديـــنى : إذا لا تريد الذهاب معـــى
فسأذهب وحـــدى .

قابيـــل : هل تريد أن تأتي به إلى البيت !
ألا يعرف الطريق وحده ؟

ديـــنى : انه شاب فتـــىّ ،
ولم يتمرّس بعد على حمل البندقية .
(يسمع صوت رصاص في الخارج . يدخل لامى)

المشهد السادس

قابيـــل : لقد جعلت صبرنا ينفـــد !

دينى : لقد خرجت عدة مرات للبحث عنك !
(لامى يصمت)
قابيل : هل هناك داع لتعود ثانية ؟
(لامى يصمت)
دينى : هل حسمت الأمر ؟
(لامى يصمت)
قابيل : هل انتهى الموضوع ؟
(لامى يصمت)
دينى : هل بقى شىء ؟
(لامى يصمت)
قابيل : هل وجدته أم لا ؟
(لامى يصمت)
دينى : هل خدعنا وكيل ؟
(لامى يصمت)
قابيل : هل ندمت ؟
لامى : نعم !
دينى : اذن ، لقد ذهبت عبثا !
قابيل : هل تمكنت منه ،
ثم تركته ؟
لامى : رغبت ،
ولكن لم أستطع !
قابيل : خفت !

دينـــى : ألا تخجـــل ؟

قابيـــل : متى ستصبح رجلا !

لامـــى : (بغضب) لم استطع !

ذهبت ، حيث قلتم لى ،
ووجدته ، حيث ذكرتم لى ،
وشاهدته ، ولكن ليس كما قلتم لى .
قد تستغربون ، أما أنا فلا استغرب .
هناك ارتجفت يداى
لأنـــه آلمـــنى .
يمكن ان تقولوا ما تريدون ،
فهذا من حقكـــم ،
ولكن من حقى أيضاً ان يكون لدى ما أقوله .

قابيـــل : لم ذهبت ! ؟
من أجبرك على الذهاب ؟

لامـــى : لم يجبرني أحـــد .
كنت أعتقد هنا بشيء
وبدا لى هناك شيء آخـــر ،
حين شاهدته بعيـــوني :
حين لم أسمع ما قلتماه لى .

دينـــى : لامـــى !
يبدو انك فُطِمْت قبل الأوان ،
ولذا تحتاج إلى مزيدٍ من الحليب !

قابيـــل : لامـــى !

كان ينبغي عليك ان تفكر أكثر .

لامـى : لقد فكرت كثيراً .

ديـنى : ولكنك فكرت بشكل خاطىء !

لامـى : لقد فكـرّت ،

كما يمكن ان يفكر الانسان ،
وهذا ما دفعني إلى الشك .
لقد لاحقته عبر الدروب ،
حتى دخل إلى بيتـه .
كان في حالة تفكير ،
في حالة حـزن ،
ومن يدرى من أية مشكلة كان يعـاني !
عندما راقبته من أحد الجوانب ،
حين كان يظن انه وحـده ،
كما يظنّ الناس عـادة ،
بدا لى انه برىء .
كان وجهـه شاحبا ،
وتجاعيد جبينـه بارزة ،
كما لو كان يحمل العالم على كتفه ،
وفي هذه الحالة من التفكير والحـزن
كان يعـدّ خطوات الطريق .
حين دلف إلى بيتـه
اختار غرفة على الطـريق
وجلس قرب النافذة

ليحدق عبر الزجاج في الظـلام .
كان يتطلع إلى الخارج
وبدا لى انه يتطلع إلىّ
ويسألنى :
لم تلاحقنى ؟
لم تنظـر إلىّ هكذا ؟
ماذا فعلت لك ؟
عد الى البيت
وقل لهم :
« حتى إذا قتلتموني
فلن تقتلوا ما فيّ من رحمة تجاهكم » .
بعد هذا التفت إلى الجانب الآخر
ووضع رأسه بين يديه .
تحررت من نظرات عيـونه ،
كان في وسعى ان أقتله ، كما في الشارع أيضاً ،
ولكننى لم أقتله .
لم أقتله في تلك الحالة
لم أقتله في حالة حزنـه
لم أقتله وأنا لا أعرف لماذا أقتله ؟

قابيـل : يكفى ! يكفى !

ديـنى : لماذا تأخرت إذن إلى الآن ؟!

لامـى : لفح الظلام عيـوني ،
وبقيت هناك حيث شاهدته .
لا أعرف كم بقيت على هذه الحالة ،

ولكن يبدو لى الآن انى تأخرت كثيراً !
شاهدت عبر الظلام الكثير من النـــاس :
رجال ، نساء ، أمهات ، أخوات ، فتيات ،
شباب ، أطفال ،
ممن أعرفهم ولا أعرفهم :
سمعت عبر الظلام عويل هؤلاء
مما ردني إلى ذاتي .

قابيـــل : (مخاطبا دينى) قد يكون مريضاً !

ديـــنى : ربما أصابته الحمى !

لامـــى : أى مرض وأى حمـــى ؟!

ديـــنى : حمى الخـــوف !

قابيـــل : حمى النـــدم !

لامـــى : لمَ أدر لماذا علىَّ أن أقتله ؟
ولهذا لم أستطع أن أقتله .

قابيـــل : ألم تسمع جيدا ما قلناه حينئذ ؟

ديـــنى : يبدو أن ذهنك كان في مكان آخـــر !

لامـــى : سمعت كل شىء
ولم أكن أفكر في أىّ شىء آخر .!
الا ان عقلى بقى غير مقتنع .

قابيـــل : وكيف لنا أن نقنع عقلك ؟

ديـــنى : وعقلك غير قابل للاقتناع !

لامـــى : ولكننى لا أعرف حتى الآن

من هو ذلك الإنسان !

دينـى : لامـى !
انظر إلى يديك كيف ترتجفـان !

قابيـل : ما زلت طفلا ،
لا تعرف الخجل من الآخرين .
متى ستصبح رجلا ؟
لن تصبح أبدا !
(لامى يصمت)

دينـى : الآن سينتشر الخبر وسيتكلم الجيران كما يحلو لهم
سيصبح الأمر أسوأ مما لو لم تذهب .

قابيل : يا للعيب ! يا للفضيحة !

لامـى : (وهو يرفع البندقية) ابقوا في مكانكم !
اياكم أن تحركـوا !

قابيـل : لا تتعجـل !
عليك بالهدوء ،
لأن هذا لصالحك ولصالحنا .
(يدخل ميكائيل)

ميكائيـل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
المخبرون ينصتون ،
ينصتون ويخبرون
ويلصقون بنا السمعة السوداء !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

الفصل الثاني

(في ليلة لاحقة . نفس المكان . في نهاية الغرفة يبدو النصب الذى يمثل شكل رجل غير محدد ، ويتضح الآن فيه ثقوب رصاص البنادق . يبدو قابيل ، حاملا بندقية في يده ، وهو يدرب لامى على كيفية اصابة رأس الشخص . ديني يقف جانبا ويتدخل من حين إلى آخر) .

المشهد الأول

قابيل : لم ارتجفت يدك ؟
لم تكن في حالة خطر .
ماذا تفعل لو كنت في الحرب ؟
ستفقد عقلك حينئذ
من أصوات الرصاص
وجثث الناس !

لامى : ليس الأمر بهذه السهولة ،
لأننى لم أمارس هذا العمل قبل الآن .
سمعت ان الإنسان عندما يقتل لأول مرة
يزداد شراسة ،
تغطى عيونه سحابة من الظلام
ويحس بالغثيان .

ديني : هذا لا يحدث لكل إنسان ،
بل للذين في قلوبهم خوف فقط .

لامـــى : يقال ان القـــاتل
يجب ان يرمى شيئا :
طاقيته ، سترته ، منديله
أو أىّ شىء آخـــر
لكيلا يلحقـــه الدم
فهل هذا صحيح ؟!

قابيـــل : من قال لك هذا ؟ ولماذا !

لامـــى : هكذا سمعت ، ولكن لا أتذكر من قال لى هذا .
ربما من شخص مرّ بهـــذه التجربة .

قابيـــل : كيف يلحق الدم بالإنسان ؟ هل تصدق هذا ؟!
لماذا تذهب اذن لتقتله ؟

لامـــى : لا أعرف ، أحسّ بشعور يخامرني
ويمسك بي .

قابيـــل : هكذا تحسّ في البدايـــة ،
ولكن ستتحرر من هذا فيما بعد .

لامـــى : لك خبرة تمكنّك من معرفة هذا بشكل أفضل .

قابيـــل : الشعور الذى يؤدىّ للقتـــــل
لا يمكن ان يُقارن مع أىّ شعور آخـــر .
بعد عملية القتل نفهم ذاتنا بشكلٍ أفضل ،
لاننا نكون قد امتحناها أمام انفســـنا ،
ونحسّ بثقلنا وبقوتنا .
ولكن ليست كل عمليات القتل واحدة :
لأن بعضها ترفع من قيمتك وبعضها يخفض من قدرك

لامـي : وفي هذه المـرة ،.
هل سترفع من قدرنا ؟

قابيـل : هذا يرتبط دون شك بمن سيُقتل .

لامـي : (وهو يحاول التصويب بعناية)
الوضع هنا أسـهل من هناك :
هناك انسان بلحمه ودمـه
وهنا ظلـه فقط ،
هناك قد يدافع ذلك الانسان عن نفسه أو يهاجـم ،
أما هذا فلا يتحرك أبدا من مكانه .

دينـى : كيف يمكن ان يدافـع عن نفسه
حين لا يراك ؟

قابيـل : انظر وصوب جيدا !

لامـي : لو ان الجسم يبدو كله
سيكون التصويب أسـهل ،
من أن يكون على الرأس فقط .

قابيـل : هكذا ستعتاد يدك .
أين تنظر هكذا ؟
الى هذا الجانب قليلا !
الى ذلك الجانب قليلا !
الى الاسـفل !
الى الاعـلى !
ارفعها ، ارفعها قليلا !
لمـاذا تصوب على البطن ؟

لماذا تنزلق عيونك على البطن بسرعة ؟

لامـــى : ولم لا على البطـــن ؟
البطن للبعض أثمـــن من الرأس .

قابيـــل : انك صغير في السن
ولكنك كبير في الكلام !
(يتوقف وينظر اليه بتعجب)

لامـــى : ليس من المهم أين تصوب عليه ،
بل المهـــم ان تصيبه :
في بطنـــه ، في صدره ،
في ظهره ، في فمه ، في عنقه ، في قلبه ،
المهـــم أن تتخلص منه
لأنه ســيتخلص منك إذا فشـــلت

قابيـــل : هناك فرق فقط :
الرأس يوجه بقية الاعضاء ،
ولذلك فهو يغرى الرصاصة أكثر ،
وهو حين يتوقف عن التفكير
تتوقف الاعضاء الاخرى عن العمل .

لامـــى : بالتأكيـــد
ولكن الرأس الدامى تصعب رؤيته
لأن فتات الدماغ تخـــرج
وتتوزّع هنا وهناك ،
وتجحظ العيون من الرعب !
لا يمكننى ان ارى الانسان على هذه الصورة !

ديـنى : لا تكـــن أبلـــه !
من يواجه عدوه من الامام
حين يمكن ان يقتله من الوراء ؟ !

لامـــى : اذن ، أدر لى رأسه الى الوراء !

قابيـــل : انظر وصوب جيدا !
ستشعر هناك بسهولة هذا العمل !
(يدخل وكيل)

وكيـــل : لقد سببتم لى متاعب ،
لانه ينبغي علىّ ان اعمل من جديد .
لم أتوقع أن ينتهى الأمر على هذا النحو !

لامـــى : (مفاجئا) هل يعرف هذا عمّن نتحدث ؟ !

قابيـــل : في هذه المرة سينتهى كل شىء .
(يقترب من لامى)
هذا يعرف تحركاتـــه .

وكيـــل : لاحقته طيلة النهـــار :
أين كان ومع من كان ؟
أين سيذهب هذا المساء ؟
ومتى سيعود الى بيتـــه ؟
وهل سيكون وحده أو مع أحـــد ؟

قابيـــل : هذه المـــرة ستنجح .
لن تخسر شيئا بعدن
لاننا سننجح هذه المـــرة ،
وستربح أكثر مما ربحت في المرات السابقة .

وكيـــل : وكيف ستتفق !
كم ، كم ، كم !

لامـــى : (بتعجب) مــاذا ؟ !

وكيـــل : لا أتحدث معـــك .
لقد تحطمت من التعب من الصباح وحتى المساء .

قابيـــل : لا تهتم : سندفع لك الضعف .

وكيـــل : لقد عرضت نفسى للخطر في هذه المـــرة
أكثر من اية مرة سابقة .
أيبدو هذا قليلا لك ؟ !
(يتوقف لحظـــة ليفكر)
ليبق الأمر كما كان في السابق ،
ولكن بشرط ألا يعرف مخلوق بهذا .

قابيـــل : لا تهتم بهذا .

وكيـــل : اذا فشل ثانية
(ينظر بحذر الى لامى)
فأنا لن أكون مســؤولا .
لقد أديت واجبي بكل دقـــة
في المـــرة الماضية .

دينى : لم نسألك قبل الآن ،
ولكن الآن نســألك :
هل تعرفـــه جيدا ؟

وكيـــل : أشعر في بيته كأنى في بيتى ،
أدخل عندما أريد وأخرج حينما أريد .

قابيــل : ألا ترى أنه لاداعي للخــوف !
وأنت أيضا يمكنك ان تقترب منه بحرية
كما لو كنت في بيتنا .
(يقترب ويداعب لامي)
يدخل فجأة ميكائيل ، وهو يقلد التصويب بالبندقية)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
شيء ما يقرقــع
وحين يقرقع يصرخ شخص ما .
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

قابيــل : اخرج ايها الابله ، لاتفسد علينا العمل !
ألم تســمع ؟

ميكائيل : اعطني لاجربّ أنا أيضا ،
لارى كيف أصيبه ،
لي قلب كالحجر ،
ووجــه لايضيء أبــدا .

ديـنى : اعطــه مــرّة ،
ليشــبع رغبته ،
لانه لن يتركنا في هدوء .

قابيــل : (يعطى البندقية له)
خذ ، جرب ، ولكن لا تطلق النار !

ميكائيل : لينطلق الرصاص وليسمع الناس صداه ،
لكي يصبح اســمي معروفا !

قابيــل : يكفي ، اعطني البندقية واذهب !

ميكائيل : بوم — بوم ، بوم — بوم ، بوم — بوم
أنا لست مخطئيا !
(يبدأ في الدوران عبر الغرفة . فجأة تنطلق رصاصة من بندقيته ، يتوقف في مكانه ثم يطلق النار أربع مرات)

وكيل : (خارجا) كما اتفقنا اذن ،
لا أكثر ولا أقل .

قابيل : (بحدة) لا أقل ولا أكثر !
(تدخل هيندا واوندينا في حالة قلق ،وحين تشاهدان ميكائيل حاملا البندقية يبدآن في الصراخ)

هيندا : يا للمصيبة !
خذوا البندقية منه . خذوها !
قد يقتل أحدا هذا المسكين !
لامى ، ابتعد عنه !
(ميكائيل يفر خارجا)

اوندينا : سيستيقظ الجيران
وسيحولون غدا أصوات رصاص البنادق
إلى بنادق !

قابيل : ان صوتك يلعلع
أكثر من رصاص البنادق .
اخرجى ولا تتباكى هنا !
اخرجى قبل ان اطردك !
(يتجه نحو هيندا ، الا ان اوندينا تسبقه وتأخذ بيدها للخارج . يدخل الجيران ، وحين تراهم اوندينا

تعود ثانية ، بينما تتابع هيندا سيرها للخارج

المشهد الثـــاني

الجار الأول : ما هذه الأصوات في هذا الوقت ؟

الجار الثاني : لقد انتابنا الخـــوف كثيرا !

الجار الثالث : تحسبنا لكـــل شيء !

الجار الرابع : صوت البنادق في الليل علامة شر !

ديـــنى : البندقية لا تخيف في الليل كما في النهار
إذا كانت في يد شخص خبير !

الجار الأول : حسنا ، طالما ان الامر ليس كما توقعت !

الجار الثاني : كان يمكن للأبله أن يقتل أحدا !

الجار الثالث : لا تعطوه البندقية مرة ثانية !

الجار الرابع : يبدو انه لن يتجرأ بعد الآن على مسكها !

قابيـــل : الجار الجيد يفتح باب الجنـــة .
لو حدث شيء حقاً ،
لكنتم قد جئتم كما جئتم الآن .
الخير يقربنا من بعضنا البعض ،
ولكن الشر يجعلنا نتحـــد .

الجيران : (بصوت واحد)
نعم الرأى !

الجار الأول : نحن جيران ،
نتقاسم الخير والشر معا .

الجار الثاني : الجار للجار
في وقت الضيق .

الجار الثالث : علينا أن نتضامن
في الافـراح والاحـزان .

الجار الرابع : هكذا كنا دائماً ،
وهكذا ينبغى ان نبقى على الدوام .

لامـى : جيران الخير يأتون هـكذا ،
حين يُدعَوْن وحين لا يُدْعَوْن .

قابيـل : لقد توقعنا قدومكم . . .

الجار الأول : أنا مستعد . . . .

الجار الثاني : لكل طارىء . . . .

الجار الثالث : متى تدعو الحاجة . . . .

الجار الرابع : في الليل والنهـار !

قابيـل : كما ترون ،
هذه المرة لم (يُهاجمنا) أحد ،
ولكن ليس من المستغرب ان يقتلنا أحد
أو ان نقتل أحداً .
من الضروري ان نكون مستعدين :
ان نتمـرَّن ،
ونعتاد على البنادق بعد ان كدنا ننساها ،
ان نتمـرَّن على التسديد الجيـد ،
لكيلا تـرّف عيوننا
أو تهتز أكتافنـا ،

لكي نثبت قلوبنـــا كي لا تستسلم
ونبقي ضمائرنا في حالة لا تعرف التراجع .
أرى اننا نتفق على هذا !

الجيران : (بصوت واحد)
نتفق طبعا ، نتفق تماما !

لامـــي : من لا يرغب منكـــم
في اثبات رجولتـــه ؟
(يتطلع الجيران إلى النصب ومن ثم يتطلع كل واحد
إلى الآخر . فترة صمت)

قابيـــل : من الافضل ان يكون هو الهدف
من أن نكون نحن .

الجار الأول : من هـــو ؟

الجار الثاني : هل له أهمية تذكـــر ؟

الجار الثالث : هل يبدو خطيرا ؟

الجار الرابع : علينا ان نتمـــرّن !

لامـــي : في رأســـه !

الجار الأول : (يحاول التصويب)
هل هذا الوضع جيد ؟

قابيـــل : إلى اليمين قليلا ،
إلى اليسار قليلا ،
الآن لا بأس !
مع ان يدك ترتجف قليلا .

الجار الثاني : (يأخذ البندقية)
لم تهتز يدى في يوم من الأيام !

قابيــل : (من وراء ظهره)
يبدو وكأن البندقية ولدت معــك !

الجار الثالث : جاء دورى .
في شبابي كانت عيوني كالنسر
ويبدو انها ما زالت كذلك .
في سن الثامنة عشرة ثأرت لأول مرة ،
وعشت سبع سنوات خارج القــانون
تصالحنا فيما بعــد ،
ولكن ما زلت احتفظ بالندقية تحت وسادتي .
لا أحس بالأمن إلا مع البندقية .
(يصيب النصب بمهارة فائقــة)

الجار الأول : هنا تبدو المهــارة !
لقد أصابه في زهرة جبينه !

الجار الرابع : (وهو يصوب)
الصنعة القديمة لا تنسى بسهولة .

قابيــل : (من وراء ظهره)
أتريد في بطنــه ؟
إلى الأعــلى قليلا !
في رأســه هكذا !
(اوندينا جامدة في مكانها وهى تتطلع باهتمام إلى النصب)

اوندينـــا : (للجـيران)
ألا تشعرون بالذنب ؟
حين تطلقون النار على رأس الإنسان ،
على ذلك الرأس الجميـــل !
كيف يمكنكم هـــذا ؟
ماذا فعـــل لكم ؟
هل تعرفون من هو ذلك الإنسان ؟

قابيـــل : ليس هذا بإنسان ، بل صورة عنه .

اوندينـــا : لمن هـــذا ؟

قابيـــل : لى . لقد صنعه صديق لى .
(يدخل وكيـــل)

وكيـــل : الوقت يمضى .

قابيـــل : معك حـــق :
« الحديد يضرب وهو حام »
لِمَ نؤجـــل هذا لفرصة أخرى ؟
ما يمكن اليوم لا يتيحه الغـــد .
(يخرج وكيـــل)

اوندينـــا : هل تستعجل إلى هذا الحـــد ؟
كنت دائماً تعتقـــد
ان رأس الإنسان ليس كرأس الديك !

قابيـــل : ولماذا تتسرعين أنت ،
ستعرفين الأمر هذه الليلة !

اوندينـــا : الليلة !

الجار الأول : الليلة !

الجار الثاني : الليلة !

الجار الثالث : الليلة !

الجار الرابع : الليلة !

قابيـــل : ما نقدر عليه الليلة ،
قد لا نتمكن منـــه في الغد .
(اوندينا يبدو عليها الشك والقلق ، تبتعد إلى أحد
الجوانب وتتابع سماع الآخـــرين)

الجار الأول : إذا كان ضروريا هذه الليلة
فلم لا ؟

الجار الثاني : في ليلة الغد قد تفوتنا الفرصة !

الجار الثالث : غدا قد لا ينفع الندم .

الجار الرابع : أنا لست مع التأجيـــل !

قابيـــل : من الآن وإلى الغد يكون الدم قد تخثر !

ديـنى : لقد أطلنا الموضوع أكثر من اللازم .
عندما نؤجـــل البداية كثيرا ،
تأتي النهاية أقل قيمـــة .
لا يمكن أن نصبر عليه أكثر من هذا .

الجار الأول : ذلك الخسيس لا يستحق هذا الصبر !

الجار الثاني : انه يرفع رأسه عاليا !

الجار الثالث : إلى الحد الذى يبدو انه يطاول النجوم !

الجار الرابع : والذى لا يعجبه أحد من الناس !

اوندينـــا : إذا لم يُعرف حتى الآن من هو ذلك الإنسان ،
فلن تُعرف النهاية أيضا .

لامـى : نحن يمكن لنا أن نعرف النهاية ،
وحتى حين تكون البداية غير واضحة لنا !

قابيــل : (بغضب)
فكرنا بما فيه الكفاية ،
فكرنا جميعاً ،
ولم يعد فينا طاقة للصبر .

الجار الأول : لم يعد الصبر ممكناً .

الجار الثاني : لقد تجاوز صبرنا كل حـد .

الجار الثالث : عجباً كيف صبرنا حتى الآن .

الجار الرابع : حتى الحجر لا يمكن أن يصبر كما صبرنا !

ديـنى : يبدو ان هذا المكان قد لحقـه الشر !

الجيران : (بصوت واحد)
لقد أصاب الشر هذا المكان !

قابيــل : (للجـيران)
من الواضح الآن ،
لنا ولكم أيضا ،
أن أحدنا في هذه الليلة
سيجهز عليه بالرصاص .

اوندينـا : ولكن على من ستُطلق هذه النار الحارقة ؟

الجيران : (بصوت واحد)

هل الموضوع يتعلق به ،
أو بشخص آخـــر ؟

لامـــى : انظروا ، انظروا !
حتى الآن لا يعرفون من هو المقصود !
يتكلمون ولا يعرفون عمن يتكلمون !
يصيبون رأسه ولا يعرفون لماذا يتضون عليه !
يقومون بفتح قبر ولا يعرفون من سيدفنون فيه !

اوندينـــا : هل تعرف أنت على الأقل ! ؟

ديـــنى : لامـــــى .
يبدو انك حتى الآن لم تسترد ذاتك !

قابيـــل : لقد وجد نفسه أمام تجربـــــة
وها هو يهرب منها كالاعرج .
انه يحاول ان يهرب من ظله
كى لا يلتقى بـــه !

لامـــى : لقد استرددت ذاتي .
لا تسخروا منى بهـــذا الشكل !

ديـــنى : انك مازلت شـــابا .
لا تعرف ماذا تتكلم ولمـــاذا تتكلم !

الجار الاول : ان عقلك لا يثبت على شىء !

الجار الثاني : انك لا تأخذ على محمل الجـــد أىّ عمل !

الجار الثالث : أحيانا تنتابك الرغبة وأحيانا تخونك !

الجار الرابع : كالمرأة التى لا تحب زوجهـــا !

لامـى : علينا أن نقتلـه
ولكن لأعرف ، مرة أخرى على الاقل ، لمـاذا ؟ !

قابيـل : انك تطرح سـؤالا ،
أجيب عليه بما فيه الكفاية .

لامـى : لم أقتنـع تماما .
من هـو ذاك
الشك يداخلني .
هل هو ذاك أم شخص آخـر .
ان رصاص البندقية يترك صدى قويا .

الجار الاول : فعـلا ، لمـاذا ؟

الجار الثاني : هل أخطأ الى هذا الحـد ؟

الجار الثالث : هل صفحة اعماله مليئة بالسيئات فقط ،
أم له حسنات أيضا ؟ !

الجار الرابع : ماذا يدعـى ؟

قابيـل : (بغضب زائـد)
أتريدون أن نعود الى البداية ؟ !
أتريدون أن تعرفوا الموضوع مرة ثانية ؟
لم لا تفكرون كمـا ينبغى ؟
اذا داخلكم الشك اليوم ،
فستاعنكم القبور غـدا .

لامـى : لقد أخطأت لن أسأل ثانية .
(يدخل ميكائل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

الآذان الكبيرة تنصت
(يمسك أذنيه)
العقول الصغيرة تنصت
(يمسك رأسه)
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

قابيل : عدت ثانية ! اخرج !
(يهجم عليه بحبل)

ميكائيل : تمهل قليلا لكي تبدو لائقا أكثر !
(يخرج ميكائيل ويأخذ اوندينا بطريقه)

اوندينا : طالما لم تذكروا لي من هو ذاك ،
لا يوجد مبرر لبقائي هنا !

المشهد الثالث

وكيل : (دخلا)
لم نتفق هكذا .
سيدركنا الوقت !
(يتوقف ويهمس بشيء في أذن قابيل ثم يخرج فورا)

قابيل : لن نتأخر بعد الآن ،
لان كل تأخير سيضرنا .
اننا نهدد أنفسنا بهذه الشكوك .
من سيذهب ؟
(صمت)

قابيل : من سيذهب ؟
(صمت)

قابيـــل : الرجال لا تستريح الا في القبور !

(صمـــت)

قابيـــل : الصمت دليل الموافقـــة .
أعرف ان كل شخص منكم سيقول :
أنا ســـأذهب .
(صمت أطـــول)

الجار الاول : أنا لن أتقاعـــس ،
سأذهب حتى لو لم تقولوا لى .

الجار الثاني : لن أقول لا ،
مع اننى لا أطمئن إلى ثبات يدى .

الجار الثالث : إذا قلتم لى ،
سأذهب فورا دون تفكـــير .

الجار الرابع : يمكن أن أذهب أنا أيضا .

ديـــنى : لا ، لا !
هذا العمل لا يخصكم هذه المرة .

قابيـــل : أردت أن أجربكـــم :
هل أنتم فعلا كما تقولون ،
ابقوا هنا ، انتظروا ، لأننى سأذهب
ولن أعود كما عدت أنت
(يشير بأصبعه إلى لامـــى)

لامـــى : لا ، لا يمكـــــن !
إذا ذهب الرأس يبقى الجسد دون حركة !

الجار الأول : أين بيتـــه ؟

الجار الثاني : هل هو قريب أم بعيد ؟

الجار الثالث : في أيّ اتجاه هـــو ؟

الجار الرابع : دلوني على المـــكان !
اعطوني البندقيـــة !

قابيــــل : أفضل طريقة لاختيار من سيذهب
أن نعتمـــد القرعة ،
حيث يمكن أن يذهب
من تحلّ عليه القرعة فقط .

ديـنى : معك حـــق .
عن طريق القرعة
لن يفرح أحد أو يحزن :
لأن القدر يكـــون قد اختاره .

الجـيران : (بصوت واحد)
نعم الرأى !
نعم الرأى !
نعم الرأى !

قابيــل : كيف نجرى القرعة ؟
(ينظر إلى لامى ، الذى يبقى صامتا . الذى كان يستمع لحديثهم) يدخل ميكائيل

ميكائيـل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
لقد برز الدم في وجوهكم كما لو كنتم في المسلخ :
واجتمعتم هنا كما لو كنتم في السجن
لاترهقوا أنفسكم كثيرا

سأقول لكم من يجرى القرعة .
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يخرج فورا)

قابيـــل : لا تهتمـــوا بـــه ،
فهذا الابله لا يعرف ماذا يقـــول .

دبـــى : انه يتكلم ،
ولكنه ينطق بأفكار هابيل .

قابيـــل : لا تذكرني بـــه !
(يتوقف ويتطلع إلى الجميع واحدا واحدا . يركز نظره على لامـــى)
وأنت ، لم أرك صامتا ؟

لامـــى : سأذهب دون قرعـــة .

قابيـــل : لا ، عن طريق القرعة .

دبـــى : لنرمى على الرأس ،
ومن لا يصيبه ليذهب .

قابيـــل : من لن يصيبه هنا ،
فلن يصيبه هنـــاك .
(يرمى الجميع وبالدور على رأس النصب ، ولا يفشل أيّ واحد منهم . يبدو السرور على قابيل السرور ، ولكن سرعان ما يقع في حيرة ، يبحث عن حـــل)

قابيـــل : لنجرب بشكل آخر .

لامـــى : هل يمكن ان يقتله من تقع عليه القرعة ؟

انه بهذا الشكل يقتل شجاعة ذاته فقط !

قايـــل : وكيف ترغب أنت ؟

لامـــى : أريد أن أجرب ثانية .

قايـــل : (باستفزاز)
ان عينك ويدك لن تساعداك .
كما انك تحتاج إلى قلب رجـــل .
لقد فشلت في المرة السابقة .
والآن ، لا حل إلا عن طريق القرعـــة .
(ميكائيل يأتي باوندينا مع جرة حمراء . ميكائيل يتراجع . اوندينا تتوقف وتتطلع إليهم واحدا واحدا حتى تصل إلى رأس النصب)

قايـــل : حتى الأبله يمكن أن يصيب أحيانا .

اوندينـــا : منذ متى كانت القرعة تحدد الشجاعة ؟ !

قايـــل : منذ ان بدأت النساء
تتدخل في أمور الرجال !
(يدخل وكيل بسرعة ، يهمس بشيء في أذن قايـــل ويخرج)

اوندينـــا : تعـــالوا !
في يدى
يمكن ان تختاروا هذاه الليلة
الحظ أو النحس !
تعـــالوا !
اختاروا واحدا من هذين فقط !

(يقف الجميع واحدا وراء الآخر ، أولهم قابيل ، ثم ديني والجيران وأخيرا لامى . يحاول كل واحد أن يحزر)

قابيل : في يدك شعرة !

اوندينا : (ضاحكة) لا .

الجار الأول : في يدك ليرة ذهبية !

اوندينا : لا .

الجار الثاني : في يدك ليرة فضية !

اوندينا : لا .

الجار الثالث : في يدك خاتم !

اوندينا : لا .

الجار الرابع : في يدك قرط !

اوندينا : لا .

ديني : في يدك رصاصة !

اوندينا : لا .

لامى : في يدك . . . لا شيء !

اوندينا : (تفتح يديها الداميتين)
من لديه الرغبة يمكن أن يحزر .
(فترة صمت . الجميع يتطلعون إلى بعضهم البعض . يساورهم الشك في ان اوندينا ولامى قد اتفقا مسبقا . يأخذ لامى البندقية ويتوجه للذهاب . من الناحية

الثانية يدخل هابيل ليرى لامى حاملا البندقية بيده)

المشهد الرابع

هابيل : أين تذهب ؟
لم لا تجيب يا لامى ؟ !
(يأخذ منه البندقية ويلتفت إلى قابيل)
يا قابيل !
انك تلعب بالنار
مرة بالنار ومرة بالسم ،
كما يحلو لك !
ألا تعرف من أنت ؟
ألا تعرف من أنا ؟
يبدو انك لا تعرف
حسنا ، سأخبرك أنا .
قابيل وهابيل :
هما نصفا كيان واحد
يجب أن ينفصل .
(يتوقف ليتطلع على نصب الشخص)
لقد تدربتم ،
على رأس الإنسان
وكأن هذا هو المذنب
هذا هو عرسك :
عرسك الكبير ، عرسك الأحمر
لمن هذا الرأس يا قابيل ؟

هل هو لميّت أو لحيّ ؟ !
قابيل وهابيل
نصفا كيان واحد !
لمن الدور الآن ،
لقابيل أو لهابيل !

قابيل : كفى !
تأتي حين لا يوجد داع لقدومك !
انك كالضفدعة :
لا تقفز إلا حين تشعر بالخوف !

هابيل : يكفيك هذا !
انك موجود حيث ينبغى ألا توجد !
انك كالثعبان :
تلسع حين لا يتوقع الإنسان .

قابيل : ان رائحة العفن تفوح من دماغك !
ان موتك في رأسك ،
لأنه يعجّ بالشكوك والاحزان والالام !

هابيل : وأين موتك ؟
في يدك ، التى تفوح منها رائحة الدم !
(يقترب كل واحد من الآخر ، الا ان دينى يفصل بينهما . يدخل ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
الدم يهتزّ ،
ضوء البيت يطفأ ،
والعلم الأسود يرتفع !

انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

قابيـــل : اخــــرج !

أنا هنـــا ،

ولا أحـــد غيرى .

ما هو الا ظلّ شاحب لى .

(يشير بأصبعه إلى هابيـــل)

هابيـــل : (بسخريـــة)

لست وحدك هنا .

بل هناك من هو معك .

انظر اليهم كيف اصطفـــوا

يشاهد بعضهم البعض في الظلام ،

لأن الحقد قد فتح عيونهم على هذا النحـــو !

* * *

الفصل الثالث

(نفس المكان ، في وقت لاحق . نصب [الشخص يبدو واضحاً أكثر . هابيل واوندينا يقفان الواحد مقابل الآخر ، وتبدو اوندينا كما لو انها تتكلم مع ذاتها)

المشهد الأول

اوندينا : لماذا الرأس فقط !
لماذا الرأس فقط !
لماذا الرأس فقط !

هابيل : ان العقل الأعوج
يثير فيّ الغثيان .
انه يرتاح في تعاسة غيره ،
أكثر مما يرتاح في سعادته .

اوندينا : لا بدّ ان يكون لهم مبررات قوية ،
طالما انهم مزقوا هذا الرأس بالرصاص .

هابيل : هؤلاء لديهم دائماً مبررات جاهزة لأنفسهم ،
الا أنهم يحاولون ان يقنعوا الآخرين أيضا
بهذه المبررات .

اوندينا : من ذلك الشخص . يا الله !

هابيل : حتى الآن لا يعرفه أحد ، الا أولئك .

اوندينـــا : انهم لا يحسبون لمـــا قد يجرى لهـــم !
باللمســـكين ، من يدرى
أهو شاب أم عجوز ؟ !

هابيـــل : علينا ان ننتظر الجيران ،
لنعرف شيئا منهم .

اوندينـــا : لم أراك حزينا ؟
يبدو كأنك تقدّره وتحبـــه ،
كأنهم قد قتلوه الآن !

هابيـــل : لا يحزنني موت انسان ،
موتـــه أو مـــوتي ،
بل تحزنني الطريقة التي يقتلون بها الانسان
قبل ان يقضوا عليـــه !
قد يمـــوت شخص ،
قد يمـــوت مئة ،
وقد يمـــوت ثلاثمئـــة :
وهذا لا يعني بداية القيامة .
الموت نهاية طبيعية للحياة ،
بينما القتل اغتصاب للحياة .
حينما يقضون على حياتك ببندقية ،
فهذا اسهل من ان يتخلصوا منك بطريقة أخرى .
للقتل ألف طريقة وطريقة ، بينما الموت واحـــد :
بعض أنواع القتل أصعب من القتل بالبندقيـــة .
هكذا تبدو الامـــور أحيانا ،
ليس لديك الوقت للتفكير بنفسك وبالآخرين :

ويدركك الموت وأنت على هذه الحالة .
هكذا قد ترين القاتل أو لا ترينه ،
ولكنه يبقى دائماً في اعتبارك .
انني لا أحزن لأنهم سيقتلونه ،
ولكني أحزن لأنهم قتلوه قبل ان يمـوت .
بتمرنهم على قتل رأسـه .
لقد شربوا دمـه رويدا رويدا :
التهموا روحـه وهم ينتقدونـه ،
التهموا روحـه وهم يتهمونه ،
التهموا روحـه وهم يفضحونه ،
التهموا روحـه وهم ينفونه !
كم يحدث في هذه الحياة !
انهم ينهشون روحك وهم يرفعونك وينزلونك
كما لو كنت علمـا مهلهلا ،
أو كما لو كنت داخل جرس كبير
يدق به شخص من الخـارج :
حين يتوقف هو تعودين الى ذاتك ،
وحين يعاود الضرب تفقدين ذاتك ثانية .
وفي النهاية ، لا أحد يدري :
هل ستكونين ميته أم مجنونـة .
وهكـذا ،
ان روح الانسان هي وجبة القاتل المفضلة !
(يستريح قليلا ويتطلع الى النصب)
يالهـا من وجبة شـهية !
هل جربتهـا ؟

اوندينـــا : أبـــدا .

قابيـــل : قولى لى على الاقل الحقيقة ،
فأنا أحب الخير لك .
فالنساء تتلذّذ بآلام الرجال ،
كما يتلذّذ الرجال بسعادة النساء .

اوندينـــا : أحبـــه .
ولكننا لا نتجرأ ان نلتقى كثيرا ،
لان عيون السوء تلاحقنـــا .
أخشى عليـــه ،
ويخشى علىّ .

هابيـــل : من هـــو

اوندينـــا : ستعرف فيما بعد .
(تحنى رأسها وتفكر)
هل هناك صلة قرابة بين هؤلاء وبين ذلك
الذى يودون ان يقتلوه ؟

هابيـــل : لا أعرف ،
ولكن يبدو لى انه
كان في حالة ودّ معهـــم حتى البارحة .
هذه ليست المرة الأولى ولا الاخيرة
التى تنتهى فيها الصداقة إلى عدواة ،
والحب إلى بغض .
هذه هى نتيجة التمدن الذى يساء تمثله ،
ونتيجة التخلف الذى لم يتم تجاوزه في الجوهر .
(يتوقف . يتطلع طويلا إلى اوندينا)

ماذا أقـــول ؟
لو سمعـــوني
لقتلوني بأسوأ مما قتلوه !
هابيل ، يا هابيـــل !
انك تأمل ، ولا تعرف ان أملك عبث في عبث .
أنا ، كما يقال ، مثل ذلك الوحش القديم ،
الذى انقرض لانه لم يعرف كيف يروى عطشه
من مصادر الطبيعـــة .
يمكن للحياة ان تمضى بدوني وبدون أمثالى .
انني حمل ثقيل ، عقبة كأداء ،
تفسد الأمور على قابيل وأنصاره .
سأختفى ،
لأنني لا يمكن ان أتكيّف معهم .

اوندينـــا : (بنعومـــة)
لا ، لا يمكـــــن !
لن تختفى ،
لأنك تنطق الحقيقـــة .
لقد بعثت الأمل فيّ ،
لأنه بدونك لن تتلاشى رائحـــة البارود .

هابيـــل : الكلمات تجرفها الرياح .
وكلماتي ليست شيئاً ،
مجـــرد شعور لن يهتم به أحد .

اوندينـــا : الإنسان يذكر حسب كلماته
وأعمـــاله .

هابيـــل : (مشيرا إلى النصب)
حين يقتل هذا الرأس ،
ستُنسى الكلمات والاعمـــال .
(يدخل ميكائيل)

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
الجيران قادمـــــون ،
لقد جعلوا آذانهم كالماعـــز ،
وسنّوا سكاكينهـــم !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يدخل الجيران ، الواحد بعد الآخر ، الجار الأول فالثاني فالثالث فالرابع . يقفون صفا واحدا ، الواحد وراء الآخـــر)

المشهد الثـــاني

الجار الأول : أين قابيل ؟

الجار الثاني : ألم يعد بعد ؟

الجار الثالث : متى خرج ؟

الجار الرابع : متى سيعود ؟

هابيـــل : الآن سيعود قابيل ،
ولكن لا أدرى هل سيعود لامى أم لا !

الجار الأول : ولم لا يعـــود ؟

الجار الثاني : انه سيد ذاتـــه !

الجار الثالث : سيعود في حالة أفضل !

إذا لم يعد ، سيعيده دينى !

الجار الرابع : وهل ذهب دينى معـه ؟

هابيـل : ألا تعـرف ؟ !

الجار الأول : لقد فشل لامى في المرة الأولى !

الجار الثاني : من يثق به بعد الآن !

الجار الثالث : دينى سيساعده !

الجار الرابع : من ستقتلون ؟

هابيـل : هل تعرفون اسمه ؟

الجار الأول : أنا لا أعرف !

الجار الثاني : تحاول ان تقنعنا بأنك لا تعرف !

الجار الثالث : ألم يقل دينى لك ؟ !

الجار الرابع : ألم يخبرك قابيل ؟ !

هابيـل : سألتهم ،
ولكن لم يرغبوا في اخبارى .

الجار الأول : سيقولون لك حين يعودون .

الجار الثاني : هم أفضل من يعرف .

الجار الثالث : ألم يقل لك وكيـل ؟ !

الجار الرابع : وهو يعرف أيضا .

هابيـل : لم أسأل وكيل .
قولوا لى أنتم !

الجار الأول : لا تحاول أن تنتزع هذا منى !

الجار الثاني : لا تحاول ان تنتزع هذا منى !

الجار الثالث : لا تحاول ان تنتزع هذا منى !

الجار الرابع : لا تحاول ان تنتزع هذا منى !

هابيــــل : هل لا تعــــرفون ،
أو لا تريدون ان تقولوا لى ؟ !

الجار الأول : أنا لا أعرفه .

الجار الثاني : لم أره أبدا .

الجار الثالث : أنا لا أعرف اسمه .

الجار الرابع : ولا أنا أيضا .

الجــيران : (بصوت واحد)
نحن لسنا مخبرين !
نحن لسنا مخبرين !

هابيــــل : إذا كنتم لا تعرفونه ،
فقد تعرفون على الأقل لماذا سيقتلونه؟ !

الجار الأول : لا تستهزىء بنـــا !

الجار الثاني : هل تظن اننا أطفال !

الجار الثالث : حين لا تعرف أنت من هو ،
كيف لنا ان نعرف نحن لماذا سيقتلونه ؟ !

الجار الرابع : ليكن من يكـــــون .

هابيــــل : إذا قتل شخص برىء بعلمكـــــم
ولم تخبروا عنــــه .
يمكن أن تُحاسبوا على هذا .

الجار الأول : سيُحاسب من سيقتله !

الجار الثاني : سيُحاسب من سيقتله !

الجار الثالث : سيُحاسب من سيقتله !

الجار الرابع : سيُحاسب من سيقتله !

الجيران : (بصوت واحد)
أيدينا طاهرة !
أيدينا طاهرة !

هابيل : عادة لا يُحاسَب ذلك الذى يقتل فقط .
بل يُحاسَب أيضا من يدفعه ويحرضه للقتل .

الجار الأول : أنا لم أتناوله بحديث خير أو بحديث شر .

الجار الثاني : لم أشتمه ولم أمدحه .

الجار الثالث : لا أعرف أحدا من أجداده أو من أحفاده .

الجار الرابع : لا أعرف امرأته ولا أطفاله .

هابيل : (بغضب)
لِمَ كنتم تتدرّنون في رأسه ؟
لِمَ تأتون هنا بمناسبة وبلا مناسبة ؟
لِمَ تتهامسون من وراء الظهور ؟
ستُحاسَبون على هذا في المحكمة ،
التى ستسحب لسانكم بالقوة
لتعترفوا
لِمَ أرادوا قتل ذلك الإنسان !

الجار الأول : لا داعى لذكر المحكمة !

الجار الثاني : لقد أرعبتني !

الجار الثالث : وأثرت قلقـى !

الجار الرابع : أية محكمة ! أين هى المحكمـة ؟

هابيـل : ستُحاسَبون أمام محكمـة الضمير !

الجار الأول : ماذا قلت ؟

الجار الثاني : ما هى هذه المحكمـة ؟

الجار الثالث : لم أفهـم ما قلت !

الجار الرابع : لم أسمع بهذا الاسم على الاطلاق !

الجـيران : (بصوت واحـد)
الضمير ! الضمير ! الضمير !

اوندينـا : لنفترض انكم لا تعرفون لمـاذا يريدون قتله ،
لنفترض انكم لا تعرفون اسـمه ،
ولكن بالتأكيد سمعتم قابيل
ماذا كان يقول عنـه ؟ !

الجار الاول : لقد ورث دينا عن أبيـه !

الجار الثاني : تذكره أحيانا بعض النسـوة !

الجار الثالث : له شخصية مهيبـة !

الجار الرابع : ولـه شهرة كبيرة !

الجـيران : (بصوت واحـد)
لماذا ندع الشر يصيبنا بسـببه !
لماذا ندع الشر يصيبنا بسـببه !
(اوندينا تبتعد عن الجـيران وتقترب من هابيل .

هابيل يتوقف ويفكر كما لو تذكر شيئا ويبحث عن
حل له . يدخل ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
قابيل قـادم ،
والشمس تلاحقـه باهيبها .
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

اوندينـا : قل لى أنت على الاقل ،
من سـيقتلون ؟

ميكائيل : دينى ذهب أيضا ،
ولن يعود مثل لامى ،
لان الشـهرة تلاحقـه .
لان الشهرة تلاحقـه .

اوندينـا : (بلطف)
قل ، قل ، قل !
ألا تخبر أختك ؟

ميكائيل : اسـألى قلبك ،
فهـو يجيبـك .

هابيـل : (لـ اوندينـا)
اذهـبى
لا تدعى قابيل يراك هنا .

(اوندينا وميكائيل يخرجان سريعا . يدخل قابيـل .
الجيران يخرجون حين يرونه عابسـا)

المشهد الثالث

قابيـــل : لم جمعت هؤلاء هنـــا ؟
ماذا تريد منهم ؟
هل تحقق معهـــم ؟
هل تريد ان تعرف منهم
مالا يمكنك ان تعرف من لامى ؟ !

هابيـــل : لقد جاءوا وحدهـــم ،
كما يأتي الضيوف عـــادة ،
ولكنهم لم يتكلموا كما يجب .
(يحـــدق بقابيل)
لم لا تخبرني أنت ؟
ماذا أساء اليك ذلك الانسان ،
الذى هشمت رأسه على هذا النحـــو ؟ !

قابيـــل : يبدو انك سألت اولئك السـؤل نفسه !
تحاول ان تبرز نفسك و كأنك من عالم آخر !
لم تهبط علينا من السماء ،
بل نشأت ونضجت بيننا .
فلم تســـأل
عن أمور تعرف أجوبتها ؟ !

هابيـــل : هل هذا رأس ذلك ،
الذى ذهب دينى ولامى للقضاء عليه ،
أم أنه مجرد رأس للتمرين ؟

قابيـــل : ليمَ تقحم دينى في أمر

يخص لامـــى فقط ؟ !

هابيـــل : ولم ذهب معه اذن ؟

قابيـــل : ليزيد من شجاعته !

هابيـــل : ألم يتمرن بما فيه الكفاية
على هذا الرأس البرىء ؟

قابيـــل : وهل تعرف انه برىء ؟ !
لا تتفوه بهذه التفاهات !
لا تذكر الذنـــوب ،
لأنها ستؤدى بنا بعيدا ،
وليس لدينا الوقت للكلام الفارغ .
لا يوجد أبرياء !
هكذا تقول أنت دائماً .

هابيـــل : أنـــا !

قابيـــل : نعم ، أنت .

هابيـــل : لا تقولنى ما لم أقـــله :
لان ميكائيل على الأقل برىء ،
ولا تقحمنى في أمـــور لا تعنينى :
لأننى على الاقل لا أحب القتـــل ،
ولا استطيع ان اجد له مبررا ،
كما حدث البارحة ويحدث اليـــوم .

قابيـــل : لمْ تعـــرف المبررات
لأنك لم تجد الوقت للتفكير فيها ،
أو ، ربما ، لا تحب ان تفكـــر فيها .

هابيـــل : وهل هناك مبررات أصلا ،
تدفعك لقتل إنسان ؟ !

قابيـــل : لا أعــرف !
يبدو ان شرفك يغط في نوم عميــق !

هابيـــل : عندما تمس الشرف بسهولة
فهذا يدل على صغرك ،
وحينما تحس بصغرك
تشعر بضخامة يدك .
هذا لا يخص إنسانا بعينـــه ،
بل يشمل الجميع !

قابيـــل : هناك ما هو أهم من الشرف أيضا ،
ولكنك لا تهتم به أبدا .

هابيـــل : لم أعد أريد الآن
أن تقول لى من هو ذاك ،
من ستقتل ،
ولكن قل لى فقط أى ذنب ارتكب ذلك الإنسان ؟ !

قابيـــل : ستعرف فيما بعد .

هابيـــل : هل تعرف
لِمَ تتنفس ؟
لِمَ تتكلـــم ؟
لِمَ تنظـــر ؟
لِمَ تفكـــر ؟
لِمَ تفـــرح وتعـــاني ؟ !

قابيـــل : انك تنطق بأشياء
لا تستحق ان تـذكـــر ،
ولا تتكلم عن أشياء
يجب أن تقـــال .

هابيـــل : هل فكرت قبل ان تقرر ؟
هل شعرت بخشية حينما ذكرت لهم اسمه ؟
هل طلبت الرحمة لنفسك ،
حين أرسلتهم ليقتلوه ؟

قابيـــل : ممن أطلب الرحمـــة ؟ !

هابيـــل : من ضميرك !

قابيـــل : الرحمـــة والضمير
هما مجرد عقبات أمام أولئك
الذين لا يستطيعون ان يحطموها .

هابيـــل : سيكون الأمر سيئا :
لك ، ولهم ، ولنا .
ولن يكون في قدرتنا ان نمحى هذا السوء :

قابيـــل : إذا كنت تعرف هؤلاء الناس ،
وتعرف أمورهم ،
وإذا كنت سمعت ما جـــرى ،
وتعرف ما يجـــرى ،
وماذا يدور من همس ،
فلا تطرح أسئلة من هذا النـــوع .

هابيـــل : هل سيقتلونه

بسبب ما جرى في الماضى ،
أم بسبب ما يجرى اليـوم ؟

قابيـل : ما جرى في الماضى لا يمكن أن يُنْسى ،
وما يجرى اليوم لا يمكن أن يُنفى .

هابيـل : حسناً !
أنت تعرف الماضى جيدا ،
ولكنك لا تفكر فيـه !
(ينظر اليه في ازدراء . لحظة صمت)
جَدُّ جدِّ عَمْـر
قتل جدَّ جدِّ زيـد ،
جـدُّ زيـد
قتل جـدَّ جـدِّ عِمْـر ،
جدُّ عمـر قتل جدَّ زيـد
ووالد زيـد قتل جدَّ عمـر ،
والد عمـر قتل والد زيد ،
وَعمُّ زيد قتل والد عمر ،
عَمِّ عَمْـر قتل عمَّ زيد ،
وَعمُّ زيد الثاني قتل عمَّ عمر الثاني ،
عمّ عمر الثالث قتل عمَّ زيد الثاني ،
وعمُّ زيد الثالث قتل عمَّ عمر الثالث ،
عمُّ عمر الرابع قتل عمَّ زيد الثالث ،
وعمُّ زيد الرابع قتل عمَّ عمر الرابع ،
ثم الخامس قتل الرابع
والسادس قتل الخامس

والسابع قتل السادس
واستمر الأمـــر هكذا
حتى لم يعد ينحصر في زيد أو في عمـــر .
الآن جاء دور
ابناء الاباء والاعمـــام
الاحفاد وابناء الاحفـــاد .
وليتفق هؤلاء
كما اتفق أسلافهـــم
عبر فوهـــة البندقيـــة !

قابيـــل : (بصوت عال)
نعم ، عبر فوهة البندقيـــة !

هابيـــل : يا لها من سلسلة طويلة :
من البنادق والضحايا !
قل لى من فضلك ،
طالما انك تعرف الماضى جيدا :
هل كانت هناك استراحة بين عمليات القتل هذه ؟
وإذا كانت هناك استراحة
فما الذى جـــرى ؟
هل كانت الأيدى تمتد للسلام ؟
أم كانت تتمرّن على القتل بالرؤوس ؟

قابيـــل : (بصوت عال)
كانت هناك استراحات ،
كما لدينـــا اليوم .

هابيـــل : حتى في الاستراحات كان الناس ينشطون :

كانت السيوف تسنّ ،
والفــؤوس تُحــدّ ،
كانت البنادق تُنظف ،
والرصاصات تُهيّــأ ،
كان الاصدقاء واللصوص يدخلون عبر النوافذ
ويقومون بتسع وتسعين رذيلة ،
بتسع وتسعين سرقة ،
وبتسع وتسعين خيانة .
كم من عروس لوّثوا لها السرير .
وكم من فتاة ذبحوا لها آمالها !
(يدخل وكيل ، يقترب من قابيل ويهمس في أذنه)

قابيــل : ليبق هنــاك
بعض الوقت ،
وسنرى فيما بعد .
(يخــرج وكيل)

هابيــل : بأية لغة تتفاهمــان ؟
لا أستطيع أن أفهمكما !

قابيــل : باللغــة التي لا تنسى بسهولة .

هابيــل : بل باللغة التى كاد الناس أن ينسوها ،
باللغــة القــذرة
التى يقتات الدود منها .

قابيــل : لا ، انها لا تزال حيــة :
انها تحلّ الأمور وتفتح الدروب
أكثر من أىّ شيء آخــر .

هابيـــل : (بصوت عال)
تفتح الدروب !
انها أبو هـــول حـــى ،
بأعضاء صدئـــة
لجسم مهجـــور .
قابيـــل : انك تصبر على كل الأمور يا هابيل !
هابيـــل : وأنت لا تصبر على أمر واحد يا قابيـــل !
قابيـــل : انك بهذا تبتعد عن قطيعنا !
هابيـــل : أريد أن أخرج من قطيع الذئاب
لألتحق بالجمع الإنساني .
لم تعد تهمني أمور الأوائل :
من أجداد وآباء
وأعمـــام وبقية القتلة .
لم يعد يثيرني كيف كان جدي :
هل اتقن الابتسامة أم استعمال البندقية ؟
هل عاش في الكوخ أو في القصر ؟
هل خدم أحدا أم خدمه أحـــد ؟
هل تزوج من عاهرة أحد الأغنيـــاء ؟
أو من يتيمة أحد الفقـــراء !
لم يعد يهمني من يعتبر وجيها اليوم ،
ومن كان يعتبر وجيها البارحة ،
ماذا يهمس الناس خلف الظهـــور ؟
وماذا يفعلون أمام الأنظـــار ؟
سأقول لكل أولئك الذين يذكرون :

قصور البارحة وكراسى اليوم
مدى الوضاعة التى سقطوا فيها .
أعرف ان الاحفاد المساكين
يعيشون عالة على الأجداد ،
بغض النظر عما خلفوه لهم من تراث
كمخبرين أو كخونة ،
وهم يعيشون الآن :
بدناءتهم وأكاذيبهم .
التى لم تعد تثير الخجل فيهم .
أعرف أن الإنسان مرآة ذاته .
انى إنسان متحرر من أثقال هذا التراث الأسود !
انى متحرر من أثقال الفقراء ،
التى لا تزاح بالبنادق والكلمات الفارغة !
أنا لا أملك بندقية ،
بل أصبح عندى بندقية من نوع آخر :
بندقية العقل والقلب .
بهذه البندقية أعبر عن نفسى ،
وبها يمكن ان اقضى على تجاوزاتك
وتجاوزات أمثالك !
انظر الىّ ، هل تعرف الآن من أنا ؟
انك لا تتجرأ ان تتطلع إلىّ ، إلى عيوني ،
لأنك سترى بؤسك !
ولذلك ستقتلون ذلك الإنسان ،
لأنكم ترون ذاتكم على حقيقتها
في مرآة عيونه !

قابيــل : كفــى !
انك لشـيطان !

هابيــل : أنا شـيطان !
(يتوقف مشدوها)
هل أنا شيطان فعــلا ؟ !
صحيح انني لم أشاهد أبى أبدا ،
ولكن لا يمكن ان احترمه اذا ثأروا له بالدم ،
بــدم انسان برىء .
(يتوقف ثانية)
ولكنك لاتجد مبررات القتل
في المــاضى فقط ،
بل تجدهــا في الحاضر أيضا .

قابيــل : لمــاذا أنت ضدى ؟

هابيــل : لانك ضد ذاتك فقط !
(يدخل ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
الغيوم السوداء ستنصت ،
والرعــود ســتبدأ !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
حين يفــور القلب ،
ينشــط العقــل !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يخرج فــورا)

قابيــل : لنفترض ان أحدا أراد ان يقتلك ،

ماذا يمكن أن تفعل ؟

هابيــــل : سأعفو عن المسكين

كما أعفو عن كل من يغتالني بالكلام ،
وســأقول لــه .
ستشاهدني وستسمعني طيلة حياتك هناك ،
حيث لن تصل أبــدا .

قابيــــل : ما هذه النبــوّة ؟ !

الميت له عيون مطبقة ،
وفــم محشو بالقطــن .
انه لا يرى ولا يسمع ولن يتذكره أحــد
ما عدا زوجته التي تتذكره ليوم ،
وأولاده الذين يتذكرونه لثلاثة أيام .

هابيــــل : ولكنهم لن ينســوني ،

لالأنهم يحبونني
بل لأنهم لا يستطيعون بدوني ،
بدون أفكاري !
(يتوقف ويفكر)
هل يمكن أن يقتلني أحــد ؟
لمــاذا أتنفس ؟
لمــاذا انتعش برائحة الورود ؟
لمــاذا ارتاح لرؤيــة الخضرة ؟
لمــاذا استقبل بسرور أشعة الشمس ؟
لمــاذا أغسل يدي بندى الصباح ؟
لمــاذا يقدرون أفكاري ؟

اولئك الذين ليسوا على شاكلتك ؟
لـماذا يذكروننى كثيرا ؟
لـماذا لا أسىء الى أحـد ؟
لـماذا لا آكل دين أحـد ؟
لـماذا ، يا قابيل ، لـماذا ؟ !

قابيـل : لانك لا تفهم هـذا الزمن ،
لا تعرف الناس .

هابيـل : قد يكون الامر كما تقول ، يا قابيل .
لا أفهم هذا الزمن ،
لان هذا زمن ابناء السوء !
(يدخل ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
حين تشرق الشمس
يحـزن القمر ،
لانه لا يمكن ان يبرز أمام اشعتها
كالنقطة في البحر .
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يخرج ميكائيل)

هابيـل : لا بدّ ان تظهر الحقيقة في النهاية .

قابيـل : بشرط ان يتعهد ولادتها شخص مثلك ،
لكيلا تولد مشوهة !

هابيـل : لا بدّ ان يرعاها شخص
ليساعدها ،

لأن الحقيقة تشعر بالخوف والوحدة
ولا تبرز إلى السطح وحدها .

قابيـــل : وهل أنت من سيرعاها ؟
وخاصة في هذه المرة !

هابيـــل : إذا لم أكن أنا ،
فسيكون لها شخص آخر .

قابيـــل : من ؟ اوندينـــا !

هابيـــل : لم لا تندم على ما فعلت طالما ما يزال لديك وقت؟
لم لا تذهب لتعيدهم ؟
قد يصبح الوقت متأخرا فيما بعد !

قابيـــل : أيّ ندم ؟ !
لا بدّ لأيّ عمل بدىء بـــه
أن ينتهـــى .

هابيـــل : غيرة اليوم
تستدعى الاحقـــاد القديمـــة ،
تفتح القبـــور الفاسدة
وتجعل للقتل مبررا !
انك تبعث صوت القرون الماضية
من حسنات الآخرين ،
لمشاعرنا الحمقـــاء !
لقد تعودنا ان نقتل دائما :
الاسم ، الذكاء ، الشهرة ،
الحب والهنـــاء
كما لو كانت لدينا خشية

من حسنات الآخرين ،
ولذا كنا نهدّىء حقدنا
حين نقوم بالقتـــل !
لقد صفينا بعضنا البعض ،
أكثر مما صفّى منا الآخرون !
لقد ساعدتنا البندقيـــة ،
ولكنّها أساءت إلينا أيضا !
حين نقتل شخصا قيّما ،
نكون قد قتلنا سبعة وسبعين ،
أو حتى سبعمئـــة آخرين :
من الابناء والبنات ، من الامهات والآباء
لدينا من قبور اللعنة والحقـــد ،
أكثر مما لدينا من قبور الشرف !

قابيـــل : ولكن هكذا تطهّرنا !

(يدخل وكيل ، يقترب من قابيل ويهمس في أذنه)

قابيـــل : عد فيما بعـــد !

سأدفع لك كلّ مستحقاتك !

هابيـــل : ديون في كلّ اتجاه !

(يخرج وكيل)

قابيـــل : حين لا تكفى الكلمة ،

تقوم اليد بما تعجز عنه الكلمة .

هابيـــل : طبعـــا !

وخاصة اليد المستورة !

قابيـــل : لا يوجد فرق !

هابيـــل : ألا يوجد فرق ؟ !
ألا من فرق بين ان تواجه الإنسان ،
أو أن تأتيه من وراء ظهره ؟ !
المهم ان تخرج منتصرا فقط ،
ولو انك بانتصارك تخسر شرفك !
نعتقد بأننا أفضل الفضلاء !
اننا ركام تشكل
من فضلات كل من سبقونا !
يا لهذا الركام العظيم
الذى تشكل من فضلات الآخرين
ومن فضلاتنـــا !
لقد ذهبوا لقتله من وراء ظهره :
بشكل لصوصى ،
لقد ذهبوا لقتله من وراء ظهره :
وهم يعتقدون بأنهم سيفتخرون بهذا ،
ولكنهم في الحقيقة يحطون من شأنهم !
من يقتل الآخر وراء ظهره ؟
لا الصينى ولا الهولندى ،
لا الصقيلى ولا الامريكى
نحن فقط !
نبحث عن الشرف التعيس
ونفقد في بحثنا الضمير ،
الروح والشعــور ،
لقد استعضنا عن العهـــد

بالخداع !
اللعنـــة
على الرحم
الذى نبت فيه أبو الهول !
أبو الهول الحى ،
الذى أشاهده كل يوم :
فيك ، فيـــه ، وفيهـــا :
في كلّ مـــكان !
انه يبدو كانسان برأسه الجميـــل ،
وكوحش بجسده البشع !

قابيـــل : (يصرخ عاليا)
اصمت !
انك شريف إلى الحـــد
الذى يثير غثيـــاني !
(يدخل ميكائيل)

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
لقد أطلق الرصاص ودوى صداه
وانطلق العويل !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
(يخرج ميكائيل . يدخل الجار الأول ، الثاني ، الثالث ، الرابع ، وأمامهم اوندينا وهى مقيدة بوشاح حول فمهـــا)

المشهد الرابـع

ـابيــل : (يتصنع الدهشة)
هل أرادت ان تخــبره
لتعيقهم من قتله ؟ !

الجار الأول : أرادت ان تعيق من سيتحول
إلى بطل في الاغنيات .

الجار الثاني : في أغنيات البطولة .

الجار الثالث : التي سيتغنى بها الرجال .

الجار الرابع : والنساء أيضاً .

الجار الأول : أرادت ان تعيــق
من سيُقــام له نصب .

الجار الثاني : في وسط السوق .

الجار الثالث : ليشاهده جيل بعد جيل .

الجار الرابع : وليكون شعلة نور لغيره من الناس !

هابيــل : (بغضب)
ها قد أصبح للقتلة نصيب من المجد !
يدخل لامى وديني في افتخار وهــم يحملــون
البنادق ، يقتربون ويتوقفون أمام قابيــل)

قابيــل : هل كل شيء على ما يرام ؟

ديـنى : نعــم .

لامــى : (بحـزن)
وأخيرا ، كل شيء على ما يرام !

وكيل : لقد قلت لكم :
لن يتكرر ما حدث في المرة الماضية .

قابيل : أين ؟

ديني : في البيت .

لامي : عبر النافذة !

قابيل : أين اصبتموه ؟

لامي : من يدري ؟
شاهدنا ظهره فقط !

قابيل : (يتوجه بغضب إلى ديني)
وكيف كان اتفاقنا ؟

ديني : في رأسه .

هابيل : (بازدراء)
ألم تجد مكانا أفضل ؟

قابيل : (بسرور)
هكذا ، في الرأس فقط .
(يلتفت للجيران)
حلوا وثاقها !
(يتسابق الجيران ليحلوا وثاق اوندينا)

اوندينا : (باكية)
لقد قتلوه !
لقد توقعوا قدومي !
لقد منعوني !

قابيـــل : (وهو يطلق رصاصة من بندقيته)
لدينا عرس ! ادعوا الجميـــع !
لن يكون لنا في كل العمر مثل هذه الليلة !
سنعد عرسا كبيرا هذه الليلة ،
عرسا كبيرا ، عرسا أحمـــر !
(تتشابك أيدى دينى والجيران استعدادا للرقص
تدخل هينـــدا)

هينـــدا : يا للمصيبة !
أين لامـــى ؟
يا للتعاسة !
أين لامـــى ؟

قابيـــل : أتبكين عوض ان تفرحى ؟
انظرى أين هو !
لقد أصبح رجلا .
لا أريد ان اسمع صوتك بعد الآن !

هينـــدا : يا للمصيبة !
أتمنى ألا اكون حية هذا المساء !
من يدرى بأننى لن أبكى ابنى غدا ؟!
يا للمصيبة !
(تقترب من اوندينا وتستند على كتفيهـــا)

قابيـــل : نحن عشيرة متضامنة
ستفرح من الآن وإلى الأبد ،
نحن عشيرة متضامنة
تبعث الآن مجدهـــا .

: نحن عشيرة متضامنة

هابيـــل : تحتفل الآن بمصيبتها ،

نحن عشيرة متضامنة

تبعث الآن فضيحتها .

قابيـــل : (مشيرا إلى هابيل)

ان هذه دموع المرأة المهجـورة ،

التى تبكى حتى في نومها !

هابيـــل : ان هذا فخـــر القاتل ،

الذى يدفع الآخرين للقتـــل .

قابيـــل : من يسمع كلام هذا ،

يبقى في منتصف الطريق ،

تأكله الندامة ويستدر الرحمـــة

ليعيش دائماً في خجل من الآخرين !

هابيـــل : من يسمع كلام هـــذا ،

يخرب كل الجســـور ،

ولا يبق له حائط يستند عايه ،

يعيش ملعونا

ويموت خجولا من نفسه !

قابيـــل : بل يصبح شريفا ،

لانه لم يُخلق عبثا !

هابيـــل : بل لا يعرف شيئا ،

لان لديه الحقد فقط !

(يدخل الطبالون . حين يشاهدهم قابيل يتوجه اليهـــم)

ابدأوا !

ارقصوا وغنوا !

اذا لم نتمتع هذه الليلة ،

فلن نعرف المتعة بعد الآن !

نحن أساس العشيرة . . .

الجيران : نحن أساس العشيرة . . .

هابيل : نحن مزبلة العشيرة . . .

قابيل : الذى يحمى تراثنا . . .

الجيران : الذى يحمى تراثنا . . .

هابيل : الذى يحمى فضائحنا . . .

قابيل : سنفتخر بعرسنا الكبير هذه الليلة . . .

الجيران : سنفتخر بعرسنا الكبير هذه الليلة . . .

هابيل : سنفتخر بفضيحتنا الكبيرة هذه الليلة . . .

قابيل : سنعد عرسا أحمر الليلة . . .

الجيران : سنعد عرسا أحمر الليلة . . .

هابيل : سنعد عرسا أسود الليلة . . .

قابيل : اسكت ، أو سأسكتك أنا !

هابيل : اسكت ، أو سأسكتك أنا !

(يقترب كل منهما ليواجه الآخر ، لكن دخول ميكائيل يفاجئهما)

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
وقروا كلامكـــم الكبير ،
لان الدعوى ستبدأ قريبا !
انصتوا ، انصتوا انصتوا !

* * *

الفصـــل الرابـــع

(نفس المكان ، صباحا . على الارضية تبدو قطع قماش أبيض وأحمر ، أحرقت وأهملت بعد الفرح . هيندا ، التى تغطى الآن رأسها بغطاء أسود ، واوندينـــا يقومان بتغطية النصب بالقمـــاش الأسود ويحاولان ترتيب الغـــرفة)

المشهد الأول

هينـــدا : (باكـــة)
يا للمصيبـــة !
ما الذى جرى لى ؟
كن من الأفضل أن أموت ،
من أن أرى ما جرى !

اوندينـــا : لا تبكـــى !
لم يحدث لك ،
كما حدث لذلك المسكين .

هينـــدا : لم أر يوما هنيئا في حيـــاتي !
سيأتي دور ابنى الآن !
لن يدعـــوه حيا ،
لكـــى يتمتع برؤية عروســـه .
لن أشاهد ابنى بعد الآن :
لأن دوره قد جـــاء !
يا للمصيبـــة !

اوندينـــا : لماذا تتنبئين بالشر ؟
لماذا لبست هذا الغطاء الأسود ؟
اخلعيه ، ليكلا تستدعى الشر إلى هنا !
(تبدأ في البكاء ، ثم تضحك في سخرية)
لقد رفع رأسك ،
وسيغار منه الآن قابيـــل !

هينـــدا : يا للمصيبـــة !
انك لن تعاني مثلى ،
لانك ستذهبين إلى بيتك ،
حيث لا يطالبكم أحد بدم ما .
يا للتعاسة !

اوندينـــا : لقد شملنى قابيل بجريمته أيضا :
فقد ألبسنى حُلّة عرس سوداء ،
وربما أضع حُلّة أخرى فيما بعد !
لا تبكى هـــكذا !

هينـــدا : حين كنت في التاسعة عشرة قتلوا لى أخى الصغير ،
وعندما بلغت العشرين قتلوا أخى الكبير ،
لا أعرف قبر أبـــى ،
ولا أعرف من يعرف قبره ،
بهذه الأيدى السوداء
دفنت القتلى فقط !
من سيدفن ابنى
حين يقتلونـــه ؟
قابيـــل !

وحتى قابيل سيقتلونه .

يا للتعاسة !

اوندينا : لا ترفعي صوتك بالبكاء ،

لأن الجيران سيسمعون

وسيأتون حالا

ويجعلون من الحبّة قبّة ،

سيقولون ما يمكن وما لا يمكن :

سيغزلون الحكايات من دموعك

وكلامك

وحينئذ تطالبين بالدم

ولكن ماذا يمكن ان يطاب الإنسان حين لا يملك شيئاً !

(يدخل هابيل ويفاجأ حين يشاهد هيندا بالغطاء الأسود)

هابيل : ان هذا الغطاء يثيرني !

ألا يكفيك ما نحن فيه من سواد

حتى تضيفي هذا السواد إلى رأسك ؟ !

اخلعيه ، قبل ان يشاهدك أحد !

هيندا : يا للتعاسة !

ما الفائدة في أن أخلعه اليوم ،

لأعود له في الغد ؟

يا لى من تعيسة !

هابيل : ولماذا تعودين اليه في الغد ؟

لمن ستلبسينه ؟

حزنا على قابيـــل !
البسيه في وقت الحاجة فقط !

هينـــدا : لو أن الأمر يتعلق بقابيل وديني
لوضعت غطاء أحمـــر .
ولكنهم سيقتلون ابني !
يا لتعاستي !

اوندينـــا : اذن لاستعد أنا أيضا ،
لأضع غطاء أحمر على شعري الأسود
حين يواجه قابيل مصيره الاسود .
(يدخل ميكائيل)

ميكائيـــل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
قابيل قـــادم ،
لقد احمرت عيونه ،
وأصبح رأسه لا يرتاح على الوسادة !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

هينـــدا : الآن سيرمونني إلى الخارج بأقدامهـــم ،
كما يرمون الآخرين برصاصهـــم !
(تخرج مع ميكائيل)

المشهد الثـــاني

اوندينـــا : احترس !
ان ما تقوله
يمكن ان يستغلوه ضدك .
بين لهم انك لا تهتم بذلك الذى قتلوه .

هابيـــل : لا يمكن أن أدّعـــى شيئا
لا يعبر عن ذاتـــى ،
وحتى لو أبرزت لهم عدم اهتمامـــى بالضحية
فانى لا أستطيع ان ابقى صامتا
ازاء عمليات القتل الجنونية ،
التى لا تدع الحياة دون معنى وحسب
بل تسىء إلى الموت أيضاً ،
الذى يتمتـــع
بجمـــال مدهش .
نحن لا نعرف حتى جمـــال الموت .

اوندينـــا : سأنفجـــر ،
إذا بقى القاتل على قيد الحياة !

هابيـــل : من تقصدين ؟

اوندينـــا : قابيـــل .

هابيـــل : ليس هو القاتل وحـــده .

اوندينـــا : هو الذى دفع لامى ودينى إلى القتل .
ودينى ليس الا نسخة من قابيـــل .

هابيـــل : لقد نفّـــذ دينى
ما أراده قابيل فقط .
ولقد قام قابيـــل
بما أراده الآخرون فقط !
ان عدد القتلة كبير هنا ،
قد لا نشاهدهم ، ولكنهم يصلون إلى ما يريدون .

اوندينـــا : سيُكتشف هؤلاء في يوم ما .

هابيـــل : هذا صعب !

أنهم يتمتعون بأصابع طويلة ،

وينشطون بأشكال مختلفة :

حين لا يرغبون بلمس النار ،

يجدون الملقط المناسب ،

وحين لا يرغبون بمسك الملقط ،

يجدون من ينوب عنهم ،

وحين لا يقومون بهذا ،

يلتفت كل واحد إلى شؤونه .

من الصعب هنا ان يُعرف

من المذنب ومن البرىء .

اوندينـــا : لن أهـــدأ ،

حتى أشاهد قابيل يتمـــرّغ في دمائـــه .

هابيـــل : هل كنت تحبينه إلى هذا الحـــدّ ؟

اوندينـــا : نعم ، كثيرا .

وهو كان يحبني كثيرا .

لم يكن كالآخـــريـــن .

لم تتح لك الفرصة لتعرفه .

نادرا ما كان يتكلم ،

كما كان قليل الانفتاح على الناس :

كان يبدو شيئا وهو في حقيقته شيء آخر .

وراء هيئته الصامتـــة

كان يختفي عالم حالم ،

لا يبدو الا حين يأخذه الحديث
أو حين تدهشه بعض الامور .
يا للغـــرابة !
كيف يغتالون الخير بهذه البساطة ؟!
كيف يقتلون الجمال بهذه البساطة ؟!

هابيـــل : وماذا ستفعلين الآن ؟

اوندينـــا : لم أعد أرى فرقاً في الخيارات.
المرأة كالجـــرّة ،
إذا تهشمت مـــرّة
لا يمكن ان تعود أبدا إلى تماسكها الأول .

هابيـــل : يمكن ، كيف لا !
ستتحسنين مع الزمـــن .
ان الزمن الذى يغيّر الجبال ،
كفيل بتغيير الناس أيضاً .
حتى أولئك سيتغيرون ، سيتغير الجميع .
(يربت على كتفها ويهم بالخروج)
احترسى !
ستسقط ضحايا كثيرة
إلى أن يُشفى الزمن هؤلاء الناس .
ان يد القاتل لا تحسن اختيار الضحايا :
يقتل الصغير كما يقتل الكبير ،
ويقتل المرأة كما يقتل الرجل ،
وهو لا يوفرّ حتى المرأة الحامـــــل .

اوندينـــا : (لوحدها)

لن أفتح لاحد بعد الآن نوافذ قلبي ،
ولن يستطع أحد بعد الآن ان يعزيني ،
لاحقونا أولا بالنظرات
ثم اغتالوه بالكلمات ،
إلى أن أجهزوا عليه بالرصاص ،
بعد هذا ذهب الجميع ليناموا مرتاحين
كما لو أنهم هشموا رأس ديك مزعج
كان يوقظهم بين حين وآخر ،
لقد هشموا رأسه
لانه كان يوقظهم في الوقت المناسب !
سينام ضميرهم الآن ،
كما اعتاد ان ينام عبر القرون .
في البداية قد تكون هناك بعض الصعوبة ،
ولكن مع الزمن يعتاد الناس على هذا !
الا ان نومهم لن يطول هذه المرة ،
لان الرعب قد تسرب إلى قلوبهم
وأصبح كل واحد ينظر للآخر بحقـــد !
لن أشاهده بعد الآن !
تركني وحيدة إلى الأبـــد !
الآن بقيت وحيدة ،
حتى هابيل تركني وذهب .
الحزن ينهشني الآن .
ولن يدعني الا بعد ان يحيلني الى عجوز .
لقد احترقت من ظلام الليل .
من سيغتالون بعـــدك ؟

ومن سيلحقه الدور بعدي ؟

(يدخل فجأة ميكائيل ويقترب منها)

ميكائيل : انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !
سيأتي وسيخبرك
عما يغلي في قلبه !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

اوندينا : من سيأتي ؟

ميكائيل : قابيل ، قابيل !

(يخرج بسرعة ، يدخل قابيل)

المشهد الثالث

قابيل : لا تسيء التفكير !
لا تحزني !
سيحدث خيرا !

اوندينا : لقد اهتممت بي فعلا
لتزيد من حزني إلى أقصى حدّ ،
ولتجعل تفكيري في غاية المرارة .

قابيل : لقد اهتممت بك ، منذ البداية ،
لاخلّصك من حمل ثقيل
أُرغمتِ عليه .
قد يبدو لك الأمر سيئاً في البداية ،
ولكن في النهاية سترين انه لصالحك .

اوندينا : يبدو انك قمت بكل شيء

لصالح الآخرين
قبل ان يكون لصالحك .
وحتى الجريمـة
قمت بتنفيذها باسم الخير !

قابيـل : جريمة ! هل تعتبرين ذلك جريمة ؟ !

اوندينـا : نعم ، جريمة تستحق العقاب .

قابيـل : ألا تعرفين :
ان القتل ليس دائماً جريمة ؟

اوندينـا : كهذه الأخيرة !

قابيـل : ولكنك لن تعاقبي انسانا مثلي
اذا كان ضحية حب ،
لامرأة مثلك ،
لانك لم تجربي الحب بعد .
ولو كنت قد فعلتُ ،
كما تقولين اني فعلت ،
لكنت أنت قاتلة أيضاً .
ولكني لم أقتل أحدا !

اوندينـا : ألا تعترف بقتله ؟
لقد دفعتهم إلى قتله !
وهذا أسوأ مما لو كنت قد قتلته بنفسك !
لم تكتف بقتله ، بل قتلت الآخرين معه ،
وستقتل غيره أيضاً
طالما أنت على قيد الحياة !

قابيـــل : حين تتفهمين مدى حبي لك ،
لن يعود هناك قتل !

اوندينــا : أنت !
انك لا تستطيع ان ترتاح دون قتل !

قابيـــل : سأستريـــح ،
حين تغيرين رأيك فقط !

اوندينــا : هل تريد ان أغير رأيي في القتل ؟ !
ليس هذا سهلا كما تظن .
لا أستطيع .

قابيـــل : ألا تستطيعين ان تغيري رأيك
لأجل قابيـــل ؟ !

اوندينــا : أفضل ان أحرق على كومة حطب ،
ان أربط بأذناب الخيول وأمزّق ،
من أن أجد نفسي بين ذراعيك !

قابيـــل : لن أرجوك ثانية !
لن يستطيع أحد ان يحبك ،
لان ماضيك
سيكون عقبة أمام سعادتك .
(اوندينا تصمت)
أنا الذي كنت أحبك ،
حين كان يخدعك هو بكلماته المؤثرة ،
بينما كان يريد ان يتزوج غيرك .
(اوندينا تبقى صامتة)

قابيـــل : ستنسين كل هذه الأمور ،
حين تصبحين قربي .

اوندينـــا : (بمكـــر)
حين يكون الرجل مصراً ،
لا تستطيع اية امرأة ان ترفضه .

قابيـــل : وكيف لم تدركى هذا قبل الآن !
(يقترب ليعانقها)
أنا مستعد لاقتل سبعة آخرين
لأجلك !

اوندينـــا : بل يمكنك ان تقتل سبعة وسبعين .
ان نار حقدك كجهنم ،
تفتح دائماً فمها لتقول : « هل من مزيد » ؟
يا لك من مجرم كبير !

قابيـــل : (بخيبـــة)
لن تفلتى من يدى !
إذا لم أمتلكك اليوم :
فسأتمكن منك غدا ، بعد غد ،
بعد شهر ، بعد سنة . . .
تتظاهرين معى بالشرف !
وكأننى لا أعرفك !
تمدين يدك ثم تنسحبين !

اوندينـــا : لن أكون معك ولو كنت ميتة !

قابيـــل : لقد عاشروك واحدا بعد الآخر ،

وتتظاهرين الآن بالعذرية !
تدّعين هنا عدم الرغبة !
ولكنك ستشعرين بالشوق ثانية
حالما يبرد قبره !

اوندينا : ان جسدى سيرفضك ولو كان ميتاً !
ولذا لا تؤرق نفسك بهذا الوهم .
سيأتي يوم تحترق فيه
بين أيدى ضحاياك !
أيها المجرم ،
سيأتي من ينتقم منك يوماً !

قابيل : غدا ستغيرين رأيك
وتبحثين عنى !

اوندينا : أبدا ، ايها التنين ، أبدا !
(تصيح بصوت عال)
أبدا ، أيها التنين ، أبدا ، !
(تقطع الغرفة ذهابا وايابا ثم تخرج . يدخل وكيل)

المشهد الرابع

وكيل : (ماداً يده)
لقد استحققت مكافأتي .

قابيل : (مقدما النقود له)
عاهرة !
خذ ! اذهب !
سأحتاج لك ثانية . لاتغب عنى !

(يخرج وكيل . يدخل ديني)

ديـــني : ما هذا الصراخ ! ؟
لم لا تدعني أنام في هدوء ؟
لقد ظننت انني سأنام مرتاحاً
اليوم على الأقـــل !
(يدخل لامي مضطربا)

لامـــي : (وكأنه يتحدث مع نفسه)
حتى الوسادة أصبحت عدوا لي !
ليمرّ فقط هذا اليوم اللعـــين !
عبر صدره المثقـــوب
أرى قلبي الأســـود .
لم أر شيئاً كهذا في حيـــاتي !
سيأتون الآن ، سيأتون !
سيعاقبونني أنا أيضاً .
سيأتون وسيبحثون عن المذنب .
من المذنب ياترى ؟
(يدخل بسرعة الجار الاول ، الثاني ، الثالـــث ثم
الرابع . بعد هؤلاء يدخل طبّالان)

الجار الاول : هل سمعتم شـــيئا ؟

الجار الثاني : كصوت رجل يختنـــق !

الجار الثالث : يبكي ، يبكي ويلعـــن !

الجار الرابع : كصوت امـــرأة !

قابيـــل : (بغضب)
هذه مجرد تخيلات !

حتى صوت الاغنيـــة
أصبح يبدو لكم كالصراخ !

الجـيران : (بصوت واحـــد)
هل نحن في وهم ! هل نحن في وهـــم !

لامـى : كان هناك صوت ! كان هناك صوت !

الجار الاول : لقد بدأ السيل يجرف التراب أمامه .

الجار الثاني : هناك حركة كبيرة في الشوارع .

الجار الثالث : كما لو انه قد قتل رجل عظيم !

الجار الرابع : حركة الذاهبين والقادمين لاتهدأ .

قابيـل : اســـكتوا
انكم تشعرون بالخـــوف ،
حتى في اللحظة التى يجب ان تفرحوا فيها !
هلّلـــوا !
هذه الليلـــة ،
سيكون عرســـنا كبيرا .أحمـــر !
(يبدأ الطبالون بالقرع على الطبول)

الجـيران : هذه الليلـــة ،
ســيكون عرســـنا كبيرا ،
ســيكون عرســـنا أحمر .
(فجأة تسمع أبواق سيارات ، ويشتد صوتهـــا
تدخل هينـــدا)

هينـــدا : يا للمصيبـــة !
أين ابـــنى ؟

أين لامـــى ؟
يالى من تعيســـــة !

قابيـــل : لا تسـمعينى صوتك ،
أيتها العجـوز الشريرة !
ألا ترين اين ابنك ؟
انه أفضل من اىّ يوم آخـــر .
(صوت أبواق السيارات يقترب أكثر . يدخـــل ميكائيل)

ميكائيل : انصتوا ، انصوا ، انصتوا !
لقد انطلقـــوا ليأتوكم ،
شـــابان وعجـــوز ،
يخطون بخطوات كبيرة
ولهم أيدى حمراء كالدم !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

هينــــدا : (وهى تقترب من لامى)
يا للمصيبـــــة !
يا للتعاســـــة !
اهرب من هنا يا بنىّ !
(تدفع لامى ، الا انه يبقى جامدا)

قابيـــل : (للجيـران)
اخرجـــوها !
لا أريد ان اسـمع صوتها !
(الجيران يحاولون اخراج هيندا . يسمع صـــوت

محرك السيارات . صوت أبواق السيارات . صـــدى،
فرامل . يدخل المحقق مع شرطيين)

المشهد الخامس

المحقـــق : لقد حدثت عدة عمليات قتل ،
وهناك شك في ان أحـــد القتلى
قد قتله واحـــد منكم ،
يقف الآن بينكم .
اننا نحمل تفويضا بالقـــاء القبض عليه .

(صمت)

الشرطي الاول : من هو القاتل ؟
(صمت)

الشرطي الثاني : من هو القاتـــل ؟
(صمت)

المحقـــق : سنضطر الى ان نأخذكم جميعاً ،
اذا لم تعترفوا بالقاتل .

الجار الاول : (متصنعا الدهشـــة)
عن أيّ قتيل تتحـــدث ؟ !

الجار الثاني : ماذا يدعـــى ؟

الجار الثالث : متى قتـــــل ؟

الجار الرابع : أين كان يســـكن ؟

المحقـــق : (بصرامـــة)
من القاتـــل ؟

لم تصمتون ؟
اذا لم تتكلموا وتعترفوا به
فستكون المسؤلية عليكم جميعا .
من الافضل لكم ان تعترفوا .
تكلموا والا فسنأخذكم جميعا !
(صمت)

المحقق : اذن هيا معنا !

الشرطي الاول : الى الامام !

الشرطي الثاني : الى الامام !

هيندا : (من الزاوية)
ياللمصيبة !
لا تأخذوا ابني !
(تتوجه للامي)
انه ليس مذنبا !
يالتعاستي !

قابيل : انتظروا لحظة !
(فترة صمت . يشير بيده الى الجيران)
ان هؤلاء قد شاهدوه أيضا .
هذا هو ، ذلك الابله ،
الذي يتجول ليلا نهارا وهو يحمل البندقية .
(يشير باصبعه الى ميكائيل)

ميكائيل : (في دهشة)
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

الزمن يتسع ويضيق ،
يتزايد ويسرع ،
يحترق ويترمد ،
يطول ويقصر ،
ينحطّ لكي يعود الى الصراط المستقيم !
انصتوا ، انصتوا ، انصتوا !

المحقق : لقد خطر لى هذا أيضا :
لان البلهاء يقتلون حين لا نتوقع ذلك منهم !

قابيل : (للجيران)
قيّدوه !
(الجيران يقيدون ميكائيل ثم يسحبونه للخارج)

المحقق : (وهو يهمّ بالخروج)
شكرا لكم ! تصبحون على خير !

الشرطى الاول : تصبحون على خير !

الشرطى الثاني : تصبحون على خير !

المشهد السادس

قابيل : (للجميع)
هل تنتظرون ان نبدأ بالعويل
كتلك المرأة !
(يشير لهيندا)
لدينا أكثر من مبرر للفرح :
لقد تحررنا من الخوف .
ارقصوا !

غنـــوا !

سيكون عرسنا عظيما هذه الليلة !

(يبدأ الطبالون بالقرع على الطبول)

الجـيران : سيكون عرسنا عظيما هذه الليلة !

قابيـل : عرس عظيم ، عرس أحمـر !

الجـيران : عرس عظيم ، عرس أحمـر !

قابيـل : نحن أســاس عشيرتنا . . .

الجـيران : نحن أساس عشيرتنا . . .

قابيـل : الذى يصون تراثهـا . . .

الجـيران : الذى يصون تراثهـا . . .

قابيـل : والذى يمثل مستقبلها . . .

والذى يمثل مستقبلها . . .

(يدخل هابيل واوندينا ويتطلعان اليهم بازدراء)

اوندينـا : يحلو لكـم الغناء

حين يفترض بكم البكاء !

يحلو لكـم الرقص

حتى على القبور !

ويحلو لكـم الفـرح

حين ينبغى عليكم طلب الرحمـة !

(ببكاء صارخ)

لقد نسيتم طعم الدمـوع !

هيا ، غنوا وافرحـوا !

قابيـل : ألم تهـدئي بعد ؟

اذا لم نتمكن من تقييد لسانك
سنضطر الى قصقصة شعرك ،
لنرى هل لك عقل بحجم شعرك !
(يقترب من اوندينا ، الا انها تدخل في حلقة الرقص
لترقص مع الآخرين)

اوندينا : ستحترق يوما
في نار ضحاياك ،
الذين قتلتهم دون ذنب !

قابيل : لا توجد نار يمكن لها ان تحرقني .

اوندينا : سترى ، أيها المجرم !

قابيل : بعيونك ، التي ستصاب بالعمى !

اوندينا : (بعنف أكبر)
ستحرق يوما
في نار ضحاياك ،
التي قتلتها دون ذنب ، أيها المجرم !
ان القبور تلعنك ، أيها التنين !
يالك من مجرم تنين !

هابيل : لقد قيل :
كل ما يحدث في القبور
يسمع فوق السطوح ،
كلّ ما يخبأ في الجبال
سيظهر في السهول ،
وكلّ ما يحدث وراء الناس

سيبدو أمــام الانظــار .

قابيــل : اسـمعوا ! اسـمعوا !
لقد بدأت الضفادع تنــقّ
وراء هذه الكلبــة !

اوندينــا : بل وراء نهايتك القبيحــة ، ايها المجرم !

لامــي : (متدخــلا بشكل مفاجىء)
ان ميكائيل البرىء
سيعفنُ في سـجنه ،
عوضا عن المذنب !

هابيــل : (متقدما خطوة من قابيل)
لقد حمّلت ميكائيل مسؤولية كلّ ما حدث !
ذلك البرىء !
ذلك الوديــع !
أنت تقتل ثمّ تجد من تحمّله اثم جريمتك !
دائما تختار الانسان الوديــع !
الانسان العاجز عن الدفاع عن نفسه !
كنت دائما هكذا !
حتى الغراب الكبير يحمى الغراب الصغير ،
بينما أنت تشعر بالتشفّى لرؤية ضحاياك !
لا تعرف كيف تتنهد أو تندم لاية ضحية !
أنت تأمر وغيرك ينفذ !
الى متى ستستمرّ على هذا النحــو ؟ !

قابيــل : (مقتربا خطوة من هابيل)
وهل أنت برىء أيضا ؟

ان الدود يغلي في رأسك !
انك لا تستطيع ان تدوس بعوضة !
انك تدّعى البراءة
لكى تخفى عجزك فقط !

اوندينا : عمّن تتكلم !
لقد تنبأ لك هابيل بيومك الاسود ، ايها المجرم !

قابيل : (للجيران)
احلقوا لها شعرها !

(لا أحد يتحرك)

هابيل : (يقترب خطوة أخرى)
لقد تركنا الامر يطول كثيرا ،
وها قد جاء اليوم
الذى ستقدم فيه الحساب :
أمام الله،
أمام الانسان ،
أمام الماضى والحاضر
لن يعد هناك من مخرج لك .

قابيل : أىّ حساب !
وأمام من ؟
أىّ انسان !
وأىّ إله !
لايوجد إله ولا إنسان !
كنت دائما أجد لى مخرجا ،
وسأجده الآن أيضا .

هابيـــل : يا قابيـــل !
لقد وصلت الى قمة الشر .
لم يعد أمامك الا الهبوط .
الهبوط الى الهاوية التى حفرتها لنفسك ،
حيث ستلتقى هناك بالآخرين :
المذنبين والأبرياء .
وحين سيبدأ وننبزع قميصك
سينتزعون معه قطعا من لحمك !

قابيـــل : يا هابيـــل !
لن أرجـــوك ،
ولن أطلب مساعدتك ،
لانك لم تساعدني في حياتي .
لن أقدم الحســـاب أمامك ،
لانك لست من يقدَّمَ له الحساب .
ليقدم كل واحـــد حسابه ،
لان كل واحد لديه ما يقول !

هابيـــل : لقد نسيتَ ، أيها الغراب الأسود ،
ان عليك الآن ان تدفع الثمن بيدك ،
لمـــا قمت به أيدى الآخرين .

قابيـــل : باسم من تتكلم ؟
هل تســـكت ،
أو اســـكتك أنا !

هابيـــل : (مبتعدا عنـــه)
لقد حـــان وقت سكوتك !

(ينظر الى لامى والآخرين)
اذا لم يجبرك الآخرون على السكوت ،
فسأقوم أنا بهذا !

اوندينا : (وهى تبكى وترقص)
لقد حان وقت سكوتك ، أيها الشبح !
لقد حان وقت سكوتك ، أيها المجرم !

قابيل : أنت ، أيها النبى الكاذب !
(يأخذ بندقيته ويرميه في ظهره)

هابيل : (وهو يسقط)
آه ! في الظهر أيضا !
لمن الدور الآن ؟

هيندا : يا للمصيبة !

اوندينا : (وهي تنقض في اتجاه هابيل)
الى متى هكذا ؟
ان الموت هنا لا يغيب لا في الليل ولا في النهار !

لامى : (يقدم ليواجه قابيل)
كفاك ما فعلت !
(يرميه برصاصة)

قابيل : (ساقطا على ركبتيه)
آه ! أنا لن أموت ، لن أموت . . .

لامى : (مبتعدا عنه)
ألا يكفيك هذا ؟
(يتابع اطلاق النار عليه أربع مرات)

قابيــل : (ســاقطا على الأرض)

أنا لا أمــوت بسهولة ،

لاني فيكــم ،

فيكــم .

هينــدا : يا للمصيبــــة !

لن يحلّ الحــداد عنى أبدا !

(صمت . هيندا تقترب من لامى ، واوندينا تبقى مع هابيل . بعد فترة صمت ، يبتعد لامى عن هيندا ويغطّى الرجلين ، هابيل أولا ثم قابيل . يخــرج الآخرون برؤوس محنية . تتلاشى الاضواء بالتدريج من المنصة . يسدل الســتار)

***

هوامش المقدمة

١) ولد فى قرية فراشى Frasher الالبانية ، من عائلة معروفة بدورها الكبير فى النهضة القومية الالبانية ، وقد اشتهر هو ايضا على كونه مؤدلج هذه النهضة • تميز بنشاط هائل فى الحياة الثقافية فى الربع الاخير من القرن ١٩ من حياة الامبراطورية العثمانية • كان من افضل المطلعين على اللغة والادب العربى ، ويبدو هذا فى سيل الكتب التى صدرت له فى حقل اللغة : « تصريفات عربية » (١٨٨٨) « القواعد الصرفية للعربية » (١٨٨٨) « القواعد النحوية للعربية » (١٨٨٨) « تطبيقات عربية » (١٩٠٢) ، وفى حقل الادب : « المنتخبات الشعرية لعلى بن ابى طالب » (١٩٠٢) « كتاب المعلقات السبعة » وفى حقل الكتابة بالعربية : « همة الهمم فى نشر الاسلام » الخ ومع كل هذا ، نجد ان اسم سامى لا يرتبط عادة الا بعمله الموسوعى « قاموس الاعلام » •

٢) تصادف فى هذه السنة ايضا حدث مسرحى فى الجانب الاخر ، اذ قام المدرس كوتو هوجوK.Hoxho وتلاميذ مدرسة المعلمين بعرض مسرحية فى قرية قرب مدينة جيروكاسترا Gjirokstra وياخذ هذا على كونه اول عرض مسرحى حديث فى المناطق الالبانية •

٣) استنبول ، مطبعة تصوير افكار ١٢٩٢ (١٨٧٥) •

٤) صدرت له مسرحيتان ايضا ، وكلاهما ترتبط بالتاريخ العربى • الاولى بعنوان « سيد يحيى » (١٨٧٥) وهى تدور حول الايام الاخيرة للوجود العربى فى الاندلس ، والثانية « كاوه » (١٨٧٦) وتتحدث عن ملك عربى (الضحاك) استطاع ان يغزو فارس ويفرض على سكنها ديانة العرب القدماء •

٥)
Hasan Kaleshi, sami Frasheri ne letersine dhe filologjine turke
Gjurmime Albanologjike i - 1968, f. 39

٦) صدرت هذه الترجمة فى عام ١٩٠١ ، ومن ثم صدرت فى عام ١٩٠٢ ترجمة بلغارية لها ، ولحقتها ترجمة ايطالية (١٩٠٨) واخيرا جاءت الترجمة الانكليزية (١٩٤٦) •

٧)
Vehap Shita, mbi dramen e teatrin ne gjuhen shqipe ne kosove,
Koha (Titograd) nr 3-4 1980. f. 102

(٨
..p autoresh, historis e tersise shqipe, ribotim i prishtines 1975, f. 342

(٩
..shep qosja, prej tipoiogjise deri te periodizimi, prishtine 1979, f. 163

١٠) للتوسع حول هذا راجع دراستنا : « مؤثرات مصرية في الادب الاجنبي الحديث » العربي عدد ٢٧٦ اكتوبر ١٩٨١ .

(١١
..Mann, Albanian lterature, London 1955, p. 88

١٢) حول تاثيرات هذه الفترة القصيرة نجد اعترافات مهمة في مذكرات الشاعر اسعد مكولي

1) Esad mekuli kujtime TT, Fjala (Prishtine) nr. 22.15. xtt. 1981. F. 6

(١٤
Josip Rela, vepra, vell. TT, Prishtine 1971. f. 22

(١٥
Ibid, f. 22

2) Vehap Shita, Mbi dramen...F. 104

١٦) للتوسع حول هذا انظر دراستنا اروى العربية الالبانية ، مجلة « المعرفة » (السورية) عدد ٢١٨ ، نيسان ١٩٨٠ .

(١٧
Beqir Musliu. Teatri dhe publikn, fjala, 15. xl. 1980. f. 14

١٨) انظر كتابنا « فلسطين الالبانية » ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٧٩ .

(١٩
1) Rexlep qosja, mite te zhveshura, prishtine 1978

(٢٠
1) Mark Krasniqi, Gjurme e gjurmime, prishtine 1979, f. 72

٢١) احمد بن زيني دحلان - الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، المكتبة التجارية - القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . وهذا الراى تجده ايضا في الجانب الالباني في اطار المعتقدات الشعبية .

فهرست

مقدمة بقلم د. محمد موفاكو

المسرحية الالبانية والعالم العربى :

التاريخ المسرحى ، كما نعرف ، يربط بين المسرح والمسرحية ، اذ لا وجود لمسرحيات دون مسرح ما . ومع هذا ، نجد فى التاريخ المسرحى ، عند العرب والالبانيين ، ظاهرة مشتركة تتمثل فى نوع من الانقطاع بين تطور المسرح وتطور المسرحية ، فمن ناحية ، نجد أن تطور المسرح قد قطع شوطا كبيرا فى فترة مبكرة ، تعود الى ما قبل الميلاد وبعده ، الشىء الذى نراه بوضوح فى المسارح الكبيرة التى بقيت فى حالة ممتازة فى المناطق العربية . (مسرح « بصرى » فى جنوب سوريا ومسارح الجزائر .. الخ) وفى المناطق الالبانية أيضا (كما فى مدن دورس Durres ، أبو لونى Apoloni وبوترينت Butrint وغيرها) واذا أتيح للمرء أن يقف فى منصة هذه المسارح العظيمة والجميلة ، نرى أنه يندفع فى تخيل التقاليد المسرحية التى كانت فى هذه الاماكن ، والمسرحيات التى كانت تعرض فى هذه المسارح ، فى ذلك الزمن القديم . الا اننا من ناحية اخرى ، نجد انقطاعا مفاجئا وطويلا للمسرحية ، فى أدب هذين الشعبين ، الشىء الذى استمر حتى القرن التاسع عشر حيث بدأت الروح تعود للتقاليد المسرحية ، مما أدى مع الزمن الى بروز النصوص المسرحية أيضا فى أدب هذين الشعبين . وعلى هذا وقد لا نضيف جديدا اذا قلنا أن المسرحية فى الادب العربى والالبانى عادت للظهور ثانية فى القرن التاسع عشر ، وذلك بعد غيبة طويلة ولكننا قد نضيف جديدا ، للقارىء العربى على الاقل ، فى تقرير أن المسرحية الالبانية ولدت وتطورت فى العالم العربى وبالتحديد فى ليبيا ومصر ، قبل أن تنتقل الى العالم الالبانى .

تعود بداية المسرحية الالبانية الى طرابلس ، والى الكاتب الالبانى سامى فراشدى Sami Frasheir (١٨٥٠ ـ ١٩٠٤) والذى اشتهر بأعماله الموسوعية فى اطار الامبراطورية العثمانية (١) ففى سنة ١٨٧٤ جاء سامى فراشدى الشاب من استنبول ، حيث كان يرأس تحرير جريدة « حديقة » ، الى طرابلس الغرب ليتولى ادارة

وتحرير أول جريدة تصدر في ولاية طرابلس الغرب · وقد صدرت هذه الجريدة تحت اسم « طرابلس » في اللغتين العربية والتركية .
ومع أن فراشدى لم يبق الا فترة قصيرة في طرابلس ١٨٧٤_١٨٧٥ ، اذ أنه سيعود الى استنبول في كانون الثاني ١٨٧٦ ليسير مجلة « محرر » الا أن هذه الفترة كانت خصبة الى الحد الذي يسرت له كتابة مسرحية كاملة من ستة فصول بعنوان : **العهد او الوفاء بالوعد**
ونجد في بداية هذه المسرحية مقدمة صغيرة للمؤلف ، تنتهي بمكان وزمان كتابة هذه المسرحية ، طرابلس ، ٢٧ جمادى الاول ١٢٩٠ (١٢ تموز ١٨٧٤) (٢) · وتدور هذه المسرحية في محيط ريفي ألباني ، حيث تمجد بشكل رومانتيكي عادة الوفاء بالعهد وهي ما يعبر عنها بكلمة Besa ، التي يعتز بها كل ألباني · الا أن ألبانية هذا الموضوع الذي يعبر بشكل طبيعي عن بيئة المؤلف ، لم تمنع الكاتب من توظيف الوسط الذي كتب فيه مسرحيته وعلى هذا لا نفاجأ بتواجد طرابلس في هذه المسرحية ، وهو تواجد هام ، وذو مغزى كبير حيث تجنب المؤلف أن يقحمه بشكل عابر ، بل نراه يوظفه في اطار الصلات التي كانت تجمع بين الالبانيين والليبيين في فترة الامبراطورية العثمانية ·

ومع أن مؤلف هذه المسرحية كاتب له دوره الكبير في النهضة القومية الالبانية بالاضافة الى الالبانية الطاغية على آن موضوع المسرحية نرى أن سامي فراشدى كتب هذه المسرحية باللغة التركية ، وليس باللغة الالبانية ، كما قد يتوقع المرء ، وقد عرضت هـذه المسرحية فورا في نفس السنة التي كتبت فيها (١٨٧٤) في استنبول ، حيث لاقت نجاحا كبيرا على حين أنها طبعت لاول مرة في السنة اللاحقة في ١٨٧٥ (٣) ·

وبسبب هذه الثنائية ، قدر لهذه المسرحية أن تحتل مكانة متميزة في اطار أدبين ، في الادب التركي والالباني ، ففي اطار الادب التركي اعتبر سامي فراشدى بسبب هذه المسرحية ومسرحياته الاخرى (٤) ، من كتاب المسرحية الاوائل في الادب التركي (٥) · أما في اطار الادب الالباني فقد قدر لهذه المسرحية أن تلعب دورا اكبر في تأصيل هذه الكتابة الجديدة في الادب الالباني ، وخاصة بعد أن ترجمت وطبعت لاول مرة باللغة الالبانية في صوفيا (٦) · وفي هذا الاتجاه تجدر الاشارة الى أن هذه المسرحية كانت أول مسرحية ألبانية تعرض في

مسرح الباني ، وذلك فى مدينة كورتشا Korca خلال ١٩٠٩ وبقيت تعرض بنجاح منذ ذلك الحين وحتى الآن فى المسارح الالبانية المختلفة (٧) .

بين هذه البداية المسرحية فى طرابلس فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر ، ودور القاهرة الكبير فى تأصيل الكتابة المسرحية فى الادب الالبانى منذ بداية القرن العشرين لدينا محطة فرعية فى ايطاليا . ففى اطار الادب الالبانى فى ذلك البلد برز الكاتب انطون سانتورى Anton Santori (١٨٠٩ - ١٨٩٤) ، الذى يأخذه البعض على كونه كتب أول مسرحية باللغة الالبانية بعنوان **أميرة** الا انه لم ينشر منها سوى الفصول الثلاثة الاولى فى جريدة محلية خلال سنوات ١٨٨٦ - ١٨٨٧ (٨) . وعلى هذا لم يتح لهذه المسرحية أن تمارس اى تأثير فى الادب الالبانى . وبالتحديد فى اتجاه تأصيل الكتابة المسرحية فى هذا الادب ، ولذا ، يميل دارسو الادب الالبانى الى ترك هذا الدور التاريخى للقاهرة (٩) .

قامت القاهرة بهذا الدور نظرا لكونها أحد المراكز الخمسة الرئيسية التى يعود اليها الفضل فى تطور الادب الالبانى الحديث . فقد أدت الظروف الصعبة التى أحاطت بالشعب الالبانى ، من قهر إقتصادى قومى ثقافى فى المناطق التى كانت تحت الادارة العثمانية . الى هجرة متواصلة للالبانيين وصلت الى ذروتها فى القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن . وقد أدى هذا مع الزمن الى بروز عدة جاليات البانية عبر العالم كما فى ايطاليا ، أمريكا ، رومانيا ، اليونان ، بلغاريا تركيا ، مصر ، سوريا - الخ .. ومع هذا سنرى ظاهرة مثيرة تتعلق بالادب الالبانى ، وهى أن الادب الالبانى الحديث قد برز وتطور فى الخارج فى هذه المراكز ، وليس فى الداخل . فى المناطق الالبانية وقد تميزت من هذه خمسة مراكز (ايطاليا ، استنبول ، بوخارست ، صوفيا والقاهرة) على اعتبار أن كلا منها ساهم فى اضافة أصيلة الى الادب الالبانى الحديث . ومن هذه الاضافات الاصيلة يعترف للقاهرة بدورها فى اتجاهين : تأصيل الكتابة المسرحية فى الادب الالبانى واطلاق الاتجاه الواقعى فى الشعر الالبانى الحديث (١٠) .

يرتبط دور القاهرة بتأصيل الكتابة المسرحية باسمين كبيرين ، يعتبران من أعلام الادب الالبانى ، الاول هو انطون زاكو تشايوبى

Anton Zako Cajupi (١٨٦٦ ـ ١٩٣٠) والثانى ميلو دوتش Milo Duci (ت ١٩٣٣) ويتمتع الاول برصيد تاريخى أكبر لانه يعتبر ايضا رائد الشعر الواقعى فى الشعر الالبانى الحديث ، وفيما يتعلق بالتوجه نحو الكتابة المسرحية فى القاهرة ، يمكن أن نرى وراء هذا تأثير المحيط المصرى ، وبالتحديد النشاط المسرحى الذى انطلق فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين ، وفى هذا المحيط صدرت فى القاهرة (١٩٠٢) أول مجموعة شعرية باللغة الالبانية للشاعر تشايوبى بعنوان **بابا توموری** Baba Tomori حيث نجد فى نهايتها كوميديا شعرية من أربعة فصول بعنوان **صهر فى الرابعة عشرة** وقد أعيد فيما بعد طبع هذه المجموعة مع هذه الكوميديا ، سبع مرات فى البانيا ويوغسلافيا وبعد هذه الكوميديا ، كتب تشايوبى خلال سنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٠ ، مسرحية شعرية أخرى **رجل التراب** ومن ثم كوميديا نثرية بعنوان **بعد الموت** الا ان هذه لم تطبع فى القاهرة الا بعد موت الشاعر ، فى سنة ١٩٣٧ ، على حين أنه فيما بعد أعيد طبعها عدة مرات فى البانيا ويوغسلافيا .

وفى هذه الفترة ايضا برزت اسهامات الشاعر والكاتب المسرحى الآخر ميلو دوتش ويبدو أن دوتش كان يجمع بين الاقتباس والتأليف المسرحى ، اذ أنه قد خلف مسرحيات كثيرة ومن هذه يكتفى النقاد بتمييز خمسة منها على كونها مسرحيات أصيلة للمؤلف ومن هذه المسرحيات يذكر الباحث الانجليزى ستيوارت مان MANN مسرحيتين فقط **القول** (١٩٢٢) ، **ابن البك** (١٩٢٣) على حين أن بقية المسرحيات بقيت مجهولة (١١) . وتتمتع مسرحيات هذا الكاتب بقيمة تاريخية فقط . من حيث كونها اكدت دور القاهرة فى تأصيل الكتابة المسرحية فى اللغة الالبانية .

بعد أن ادت القاهرة هذا الدور التاريخى . أعلن استقلال ... يا (١٩١٢) وبدأ الدور الادبى للمراكز الخارجية يتراجع ... عة لصالح المركز الرئيسى الآن . وفى اطار هذا المركز الجديد ... ى أدب مسرحى جديد . وذلك بعد أن تم تأصيل الكتابة المسرحية فى العالم العربى .

المسرحية الالبانية فى يوغسلافيا

الحديث عن مسرحية البانية فى يوغسلافيا يفترض طبعا تواجد ادب البانى وهذا يفترض بدوره تواجد شعب البانى فى هذه القارة المصغرة .

جاء اعلان الاستقلال فى البانيا (تشرين الثانى ١٩١٢) وسط ظروف متقلبة فى المنطقة التى سرعان ما اندلعت منها الحرب العالمية الاولى التى أزالت كل الحدود السابقة ولذا لم تستقر الحدود فى المنطقة الا بعد نهاية هذه الحرب ، حيث توزع الشعب الالبانى مناصفة فى اطار دولتين ، البانيا ويوغسلافيا ، وقد تضخم الوجود الالبانى فى يوغسلافيا مع مرور الزمن . بحيث أن الالبانيين يشكلون الان المجموعة القومية الثالثة فى يوغسلافيا ، بعد الصربيين والكرواتيين . على حين أن الالبانية أصبحت تحتل الان المرتبة الثانية ، بعد اللغة الصربوكرواتية .

فى اطار يوغسلافيا القديمة (١٩١٨ ـ ١٩٤١) عاش الالبانيون خاصة والمسلمون عامة . فى اطار ارهاب اقتصادى اجتماعى ـ قومى متكامل . وذلك لدفعهم على اليأس من وجودهم ليجدوا الحل فى الهجرة الى أى اتجاه . فيوغسلافيا القديمة التى قصد فيها أن تكون جامعة ديمقراطية للشعوب كانت ، كما وصفها الرئيس تيتو بلدا نموذجيا فى أوربا من حيث الاضطهاد القومى . وفى هذا الاطار ، حيث كانت الحقوق الثقافية معدومة ، وصلت نسبة الامية فى صفوف الالبانيين الى اكثر من ٩٠٪ الشىء الذى لم يقض على امكانية تطور ادب ما وحسب ، بل أنه جمد وقضى على التقاليد الادبية التى كانت للالبانيين من الفترة السابقة . والاهم من هذا ـ أن الالبانيين فى هذه الفترة ـ انقطعوا تماما عن اللغة الالبانية وعن الادب الالبانى فى الخارج ، مما جعلهم يعيشون فى غربة لغوية وثقافية . تامة ومن الطبيعى الا نتوقع فى هذه الظروف شيئا يمت بصلة الى المسرح والكتابة المسرحية .

فى الفترة اللاحقة (١٩٤١ ـ ١٩٤٤) التى شهدت تفكك يوغسلافيا وعودة المناطق التى يسكنها الالبانيون فى يوغسلافيا الى البانيا . عاد الالبانيون فورا ليتصلوا بلغتهم وبأدبهم ، الذى

كان قد تطور كثيرا خلال الفترة السابقة . وقد أدى هذا التواصل الفورى والشامل . مع اللغة والادب الالبانى ، الى انتعاش ما قد جف من عواطف ومواهب أدبية لدى الالبانيين الذين كانوا فى الاطار اليوغسلافى (١٢) وفيما يتعلق بموضوعنا . بالمسرح والكتابة المسرحية ، نجد أن هذه الفترة قد شهدت ايضا بداية نشاط مسرحى بعد تجربة تامة عن هذا الفن وقد بدأ هذا النشاط فورا فى السنة الاولى (١٩٤١) حيث عرضت فى مدينة بريزرت Prizren أول عرض مسرحى باللغة الالبانية . ومن المهم أن نشير هنا الى أن هذه المسرحية لم تكن تلك التى كتبها سامى فراشدى فى طرابلس سنة ١٨٧٤ (١٣) .

فى الفترة الثالثة . التى بدأت مع تشكل يوغسلافيا الحديثة (١٩٤٥) عاد هؤلاء الالبانيون ثانية الى الاطار اليوغسلافى ، ولكن مع اعتراف مسبقى بحقوقهم القومية والثقافية . وفى هذه الظروف الجديدة . التى احتفظ بها هؤلاء الالبانيون بتواصلهم اللغوى والثقافى ، برز الادب الالبانى الحديث فى يوغسلافيا ، الذى تطور بخطوات عملاقة خلال ربع قرن (١٩٤٥ ــ ١٩٨٠) وخاصة بعد سنة ١٩٦٦ ، التى أعقبتها تحولات ديموقراطية ــ قومية وثقافية هامة فى حياة هؤلاء الالبانيين ، وعلى هذا شهدت هذه الفترة بروز أهم الابداعات فى الشعر . بالاضافة الى بروز وتطور الكتابات الجديدة فى القصة ، والرواية والمسرحية .

فيما يتعلق بالمسرحية ، نشير هنا الى خريف ١٩٤٥ ، كبداية لهذه الفترة الجديدة فى حياة الالبانيين فى يوغسلافيا ، اذ أنه فى تلك السنة أسس المسرح الشعبى الاقليمى « فى مدينة بريزرن ، الذى انتقل فيما بعد الى مدينة بريشتنا Prishtina التى اختيرت لتكون عاصمة لاقليم كوسوفا Kosova الذى يضم غالبية الالبانيين ، ومع الزمن تحولت هذه المدينة الى مركز النشاط المسرحى الذى أدى بدوره الى بروز جيل من كتاب المسرح خلال الخمسينيات . وقد جاءت البداية فى سنة ١٩٥٠ حين نشر الكاتب حسن فوكشى Hasan vokshi مسرحية من فصل واحد بعنوان « الشرشف » (ويقصد به هنا غطاء المراة الالبانية المسلمة) ومن ثم تبعه الكاتب طيار خطيبى Tajar Hatibi حين نشر فى عام ١٩٥١ مسرحية من فصل واحد ايضا بعنوان المراة المعاصرة وفيما بعد تأتى سنة ١٩٥٤

لتسجيل شيئا جديدا ، الا وهو عرض أول مسرحية البانية فى هذه الفترة . حيث عرضت فى تلك السنة فى « المسرح الشعبى الاقليمى » مسرحية الكاتب مرتضى بيزا Murteza peza (ت ١٩٨١) بعنوان **لا نتزوج بالنقود** وكما يبدو من هذه العناوين ، نرى أن مواضع هذه المسرحيات قد ألقت فى اطار الموقف الرسمى الذى توجه أولا نحو التقاليد التى كانت سائدة فى البيئة الالبانية المسلمة خاصة . ولهذا نرى أن المسرحية الاولى تتناول الشرشف (حجـــاب المرأة المسلمة) حيث كان هذا موضوع الساعة حينذاك بعد حملة ازالة الحجاب ، على حين أن المسرحية الثانية تحرض هذه المرأة على التحرر من التقاليد التى تحيط بها ، بينما يوضح عنوان المسرحية الثالثة ما تهدف اليه ، فى التحريض على استبدال المهر بالحب فى الزواج .

بعد هذه النصوص تقفز المسرحية الالبانية فورا الى مستوى فنى رفيع بفضل الكاتب يوسيب ريلا Josip Rela (١٨٩٥ — ١٩٦٦) ، الذى ينتمى الى الباتيين من الشمال الى تجمع زار Zara على الساحل الادرياتيكى ومن الطبيعى أن تؤدى بيئة وثقافة الشمال الى كتابات اكثر نضجا من تلك التى بدأت فى الجنوب . فقد ولد ونشأ ريلا فى مدينة زارا ، التى كانت حينئذ فى اطار امبراطورية النمسا والمجر ، ثم أصبحت فيما بعد تحت الحكم الايطالى ، ولذا حصل على ثقافة غربية مكنته من التعرف على التراث الاوربى المسرحى . وقد توطدت علاقة ريلا بالمسرح والمسرحية حين عين فى أو اخر الاربعينيات ، بعد أن أصبحت زارا داخل الاطار اليوغسلافى ، مديرا للمسرح الذى كان قائما فى مدينته ، والاهم من هذا ، أن ريلا تمتع حينذاك بحرية ابداعية لم تكن موجودة فى الجنوب ، حيث كان الكتاب يعيشون فى مناخ ارهابى يدفعهم الى أن يعيشوا على كلمة يكتبونها بـ « ميزان الصيدلى » (١٤) . وحين نأخذ كل هذه الظروف بعين الاعتبار ، يصبح من السهل أن نتفهم هذا الارتقاء الفورى فى المسرحية الالبانية ، الذى تم بفضل يوسيب ريلا . وقد صدرت أول مسرحية لهذا الكتاب سنة ١٩٥٢ بعنوان **الزواج** ثم مسرحية **القرع** (١٩٥٣) الى أن ظهرت رائعة مسرحياته فى عام ١٩٥٤ بعنوان **نيتا** NITa التى تعتبر من أفضل الاعمال المسرحية الالبانية حتى الآن (١٥) . والى جانب ى ريلا ، ظهر فى الجنوب عدة كتاب آخرين فى أواخر الخمسينيات ، ممن حاولوا أن يطوروا البدايات

التى ظهرت فى أوائل الخمسينيات ومن هؤلاء برز الكاتب جميل دودا Xhemil Doda (ت ١٩٧٦) بمسرحية **خالد غاش** (١٩٥٥) ومحرم تشينا Muharrem Qena بمسرحية **الازواج** (١٩٥٦) ويوسف كلمندى Jusuf kelmendi بمسرحية « **الاخذ بالثار** » (١٩٥٨) وحفظى سليمانى Hivzi Sulejmani (ت ١٩٧٥) بكوميديتيه **الفار فى الجيب** (١٩٥٨) وطاهرياها Tahir Jaha بمسرحية **تعال ، تعال** (١٩٥٨) ·· الخ ·· وتتميز هذه المسرحيات بالمقارنة مع مسرحيات أوائل الخمسينيات بكونها تحاول الا تسجل موقفا لحظيا ضمن دائرة السلطة ، بل تحاول أن تتجاوز هذا التناول الهموم والمشاكل الاجتماعية الجديدة التى بدأت تبرز فى حياة الالبانيين ·

فى فترة الستينيات نرى أولا استمرار الكتاب بمسرحيات جديدة ، وبروز كتاب آخرين كاكرم كريزى Ekrem Kryeziu بمسرحياته **المترددون** ، **قطارات الشمال** وآدم غيطانى Adem Gajtani بمسرحيته **شمس المساء شمس الصباح** ·· الخ ·· ومع هذا فقد ارتبطت فترة الستينيات باسم مسرحية ذات أصل عربى من (ألف ليلة وليلة » الا وهى مسرحية **اروى** Erveheja التى تعتبر الآن من خوالد المسرحيات الالبانية وقد استلهم هذا الموضوع لاول مرة الشاعر الالبانى محمد تشامى Muhamet Gami(١٧٨٤ ـ ١٨٤٤) الذى أقام فى القاهرة عشر سنوات بهدف الدراسة فى الازهر ولا شك فى أن هذه الاقامة الطويلة أتاحت له أن يتقن العربية جيدا · وأن يتعرف عن كثب على الثقافة العربية ، الشىء الذى انعكس بوضوح على ابداعاته بعد عودته الى وطنه · ومن هذا خلف لنا قصته الشعرية من ٨٥٦ بيتا بعنوان **اروى** التى قدر لها أن تنشد بشكل لا يوصف فى أوساط الالبانيين فى القرن التاسع عشر · حتى أنها دخلت الى الادب الشعبى ايضا · وفيما بعد فى الستينيات ، دخلت هذه القصة الشعرية الى الادب الالبانى المعاصر ، بعد أن قام الكاتب أحمد تشيريزى Ahmet Qerizi بتحويلها الى مسرحية · وقد عرضت هذه المسرحية لاول مرة ، فى المسرح الشعبى الاقليمى فى مدينة بريشتنا فى سنة ١٩٦٧ ، حيث لاقت نجاحا فاق كل توقع · ففى «ملتقى المسارح المحترفة» فى جمهورية صربيا ، الذى يعقد سنويا فى مدينة ينشى Nish حصدت هذه المسرحية سنة ١٩٦٧ أكبر كمية

من الجوائز (٥ جوائز) كما أنها فازت عام ١٩٦٨ بالمركز الاول في مهرجان المسرحيات اليوغسلافية ، الذى ينعقد سنويا فى مدينة نوفى ساد Novi Sad (١٦) وحول هذا ، يشير أحد النقاد المسرحيين الى هذا النجاح الخارق على كونه « ظاهرة » حيث يعترف أن هذه المسرحية كانت ابرز انجاز للمسرح الشعبى الاقليمى منذ تأسيسه وحتى الآن (١٩٤٥ - ١٩٨٠) (١٧) ، ويكفى أن نضيف هنا أن هذه المسرحية مازالت تعرض بنجاح كبير منذ ١٩٦٧ ، كما أنها عرضت خلال هذه الفترة فى انحاء مختلفة فى يوغسلافيا بالاضافة الى البانيا ٠

بعد هذا نصل الى فترة السبعينات ، التى تعتبر بحق قمة بالنسبة الى المسرحية الالبانية فى يوغسلافيا ٠ ففى هذه الفترة صدرت أهم المسرحيات ، التى تعتبر علامات مضيئة فى اطار الادب الالبانى ككل ٠ وقد بدأت هذه الابداعات الجديدة بمسرحية أنطون باشكو غوف Anton Pashku (١٩٧٦) وفى نفس السنة صدرت مسرحية « **أبو الهول الحى** » للكاتب رجب تشوسيا Rexhep Qosja التى اخترناها للترجمة ، ثم صدرت عام ١٩٧٧ ، ثلاثة مسرحيات للكاتب عمر شكريلى Ymer Shkreli تحت عنوان مشترك « **الثلاثية الالبرية** » وأخيرا صدرت مسرحية « **الدنيا صور** » (١٩٧٩) للكاتب يوسف بوجوفى Jusuf Buxhovi وفى هذه المسرحيات نجد الآن موضوعات تعبر عن مدى النهوض فى الوعى القومى الثقافى الذى انفلت دفعة واحدة فى السبعينيات فى القمقم الذى كان فيه ٠ ولهذا نرى فى هذه الفترة عدة ابداعات تبعث التاريخ القديم (الاليرى) مع اسقاطات معينة على الحاضر وهذه الاسقاطات ، التى تميز اعمال السبعينيات نجدها ايضا حتى المسرحيات التى تدور فى أجواء فكرية وفلسفية ، كما فى مسرحية « **الدنيا صور** » التى تعبر عن كفاح النوع الجنس لحماية نفسه فى الانقراض فى بيئة لا تريد له أن يستمر على قيد الحياة ومن ناحية أخرى لم تخل هذه الفترة ايضا من مسرحيات ذات هموم أو موضوعات مستلهمة من التاريخ العربى القديم ، الشىء الذى نراه بكثافة ايضا فى بقية الابداعات ، كالشعر مثلا (١٨) ٠ فقد كتب الكاتب عمر شكريلى مسرحية بعنوان **بابل** سنة ١٩٧٥ للمسرح الشعبى الاقليمى وتأخر نشرها الى الآن ٠ وما يثير فى هذه المسرحية هذا التوغل العميق فى تفاصيل التراث

البابلى ، وتقوم هذه المسرحية على رموز أسطورته بابلية لتوحى أن كل سلطة هى نزرية على شعبها .

مسرح رجب تشوسيا

ولد رجب تشوسيا سنة ١٩٣٦ فى أحدى قرى الجبل الاسود . بدأ دراسته لدى أحد الشيوخ فى القرية ، حيث تعلم مبادى العربية ، الا أنه توقف بعد سنة نتيجة لمنــع هذا النوع من التعليم حينذاك . انتقل فيما بعد الى مدينة بريشتنا حين تخرج من فرع اللغة والادب الالبانى ، ثم انهى الدكتوراه فى الادب سنة ١٩٧١ عمل فى البداية فى معهـد الالبانيات ، ثم أصبح مديرا له منذ عام ١٩٧٥ وبالاضافة الى هذا ، فهو استاذ ذوكرس فى جامعة كوساقا وعضو عامل فـى أكاديمية العلوم والفنون .

بدأ نشاطه فى النقد الادبى فى الستينات ، حيث خلف ثـلاثة كتب تجمع بين النقد النظرى والتطبيقى ، بمعدل كتاب كل سنة ، « حلقات أدبية » (١٩٦٧) ـ « حوارات مع الكتاب » (١٩٦٨) ، « والنقد الادبى » (١٩٦٩) وقد تابع هذا النشاط الكثيف فـى السبعينات ، حيث صدرت له عشرة كتب أخرى ، آخرها من التنميط الى التعصير (١٩٧٩) ، الذى يعد حدثا فى ذاته ، الا أن الجديد فى هـذه الفترة هو تحوله نحو الكتابات الا بداعية ايضا . وقد بدأ هذا سنة ١٩٧٤ ، حين صدرت له مجموعة قصص بعنوان « الموت يأتينى من عيون كهذه » التى تركت صدى جيدا ـ فى أوساط النقاد . وفيما بعد تحول الى المسرحية ، حيث صدرت له فى سنة ١٩٧٦ ـ مسرحية أبو الهـول الحى التى عرضت بنجاح كبير فى نفس السنة فى المسرح الشعبى الاقليمى ، ويبدو أن هذا شجعه على الاستمرار فى الاتجاه الابداعى اذ أنه نشر بعد سنتين مسرحيتين جديدتين . الاولى بعنوان « بسلام ، لماذا يضحون بى » والثـانية بعنـوان « موت ملكة » ، وقد قدمها ايضا المسرح الشعبى الاقليمى فى موسمين متلاحقين . وقد نشرت فيما بعد فى سنة ١٩٧٨ . هذه المسرحيات الثـلاث فى مجلد واحد بعنوان « اساطير معراه » (١٩) .

عرضت مسرحية « ابو الهول الحى » لاول مرة على منصـة المسرح الشعبى الاقليمى فى مدينة بريشتنا ، فى ٢٧ مايو ١٩٧٦ ، حيث لاقت نجاحا كبيرا . وبعد ثلاثة أيام فقط ، فى ٣٠ مايـو

صربيا ، حيث حصدت أكبر عدد من الجوائز (٥ جوائز) وقد شارك بهذه المسرحية سنة ١٩٧٧ مسرح آخر مسرح الهواة في مدينة بريزرن ، وذلك في المهرجان اليوغسلافي لمسارح الهواة ، الذى ينعقد دوريا في مدينة كولا Kula حيث فازت هذه هذه المسرحية بالمركز الاول . وفي السنة اللاحقة (١٩٧٨) اشترك بها ايضا المسرح الشعبي الاقليمي في المهرجان اليوغسلافي للمسارح التجريبية الذى ينعقد دوريا في مدينة سرامبيفو ، حيث احتلت ايضا المركز الاول . وفي نفس السنة اشتركت في مهرجان اليوغسلافية الذى تتنافس فيه افضل المسرحيات الفائزة في المهرجانات المختلفة في يوغسلافيا . وقد فازت في هذا المهرجان ايضا بـ « النصب الذهبي » وفي اطار هذا الاهتمام الكبير ترجمت المسرحية ايضا الى اللغة الصربوكرواتيه ونشرت في بلغراد سنة ١٩٧٧ .

اشتركت في مهرجان المسارح المحترفة لجمهورية ١٩٧٦ ، اشتركت في مدينة شاباتس Shabac الذى ينعقد دوريا في مدينة شاباتس

موضوع هذه المسرحية يبدو من القراءة الاولى انه يدور حول عادة لها جذور وتقاليد لدى الالبانيين ، الا وهي عادة الاخذ بالثار ، وهذه العادة في اطار ما نعرف ، تكاد لا نجدها بهذا العمق — الا لدى العرب والالبانيين ، وهي على كل حال مظهر من مظاهر التقارب الشديد في العادات والتقاليد بين هذين الشعبين ومن المثير أن نذكر هنا أن البعض يذهب بعيدا الى حد أنه يعتقد أن هذه العادة قد انتقلت اصلا من — العرب الى الالبانيين (٢٠) . وقد لا يبدو هذا مثيرا ازاء الرأى الآخر الذى يرى أن — الالبانيين هم قبيلة عربية هاجرت الى البلقان في قديم الزمان (٢١) . وحول هذه العادة ، نرى المؤلف يبعث بشكل معاصر من التراث المشترك شخصيتين لهما مدلولهما التاريخي والاسقاطي ، الا وهما قابيل وهابيل الا أننا في هذه المسرحية لا نشاهد كما قد نتوقع عملية قتل وسقوط قتيل أو قتلى . بل يغرقنا المؤلف بما هو أهم من هذا بدوافع الشر والقتل والعنف لاى الانسان . ولهذا يحاول المؤلف أن يعرى هذه الاسطورة « اسطورة الاخذ بالثار » ، ليقودنا الى اكتشاف الدافع الحقيقي للقتل ، لاى قتل . عند الانسان : كيف يلد وينمو ويتضخم ليسيطر على الانسان أولا ومن ثم يسيطر على الآخرين ايضا . وعلى هذا

تقدم لنا هذه المسرحية تشريحا مرعبا لفاشية الانسان · وبالتحديد لدوافع العنف والقتل التى تترك بسهولة فى اعماقه ، وتدفعه الى الى البحث فى تسميات يبرر فيها حب العنف والقتل لديه · وفى هذا الاطار يتحول القتل الى « لذة » عند الانسان الذى يكتشف عبر هذا الجانب الخفى فى عواطفه واعماقه · وبالاضافة الى هذا ، يرى القارىء نفسه فى جو كافكى فى هذه المسرحية ، حيث يفاجأ بانسان حكم عليه بالقتل مسبقا ، دون أسباب واضحة ، ومن ثم يكتشف بأسى أن هذا القتل يتم فقط لكى يتمتع الآخرون بلذة القتل · فى هـذا الجو الكافكى يتمرغ الانسان فى احباط اخر عندما يكتشف أن الدافع الخفى عند كل انسان دافع العنف والقتل ، يمكن أن يستثار بسهولة ، الى حد أن الانسان يندفع الى قتل اخر ، دون أن يعرف حتى اسمه ·

* * *